الرابطة
شهرية - علمية - ثقافية - تصدرها رابطة العالم الإسلامي
السنة ٥٣ العدد ٦٠٤ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ - فبراير ٢٠١٧م

الرئيس الباكستاني يشيد بنتائج المؤتمر

مؤتمر الخطاب الوسطي والأمن المجتمعي

يدعو إلى التصدي لتيارات الغلو والتطرف وبيان جنايتها على صحيح الإسلام

السنة ٥٣ العدد ٦٠٤ - جمادى الأولى ١٤٣٨هـ - فبراير ٢٠١٧م

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي: الجميع بحاجة لسمة الإسلام الحق

مغزى زيارة الأمين العام إلى غروزني

تُولي رابطة العالم الإسلامي اهتمامًا خاصًا بقضايا المسلمين ومتابعة شؤونهم، انطلاقًا من نظامها الذي يدعو إلى بذل الجهود في علاج المشكلات التي يواجهها العالم الإسلامي.

ومن أجل هذا الهدف تبعث الرابطة بوفودها لمختلف دول العالم لعقد الزيارات واللقاءات مع المسؤولين والعلماء والدعاة والمفكرين ورؤساء المراكز الإسلامية والمنظمات.

لقد أثمرت هذه الزيارات تعزيز روابط الأخوة والتضامن، وتنمية التعارف والتعاون، والعمل على إيقاظ الوعي المشترك لنهضة الأمة وتطلعها نحو مستقبلها المشرق بإذن الله تعالى.

كما أثمرت هذه الزيارات واللقاءات إبراز الموقف الصحيح الذي تتبناه الرابطة من القضايا المثارة على الساحة الإسلامية ولا سيما قضية الوحدة الإسلامية ومواجهة التطرف الفكري والإرهاب، والعمل على ما يحقق السلام والأمن والاستقرار.

جاءت زيارة معالي الأمين العام الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى عضو هيئة كبار العلماء إلى جمهورية الشيشان في شهر ربيع الأول الماضي في إطار ما تحمله الرابطة من رسالة الخير والتعاون في العالم الإسلامي. وكان استقبال الرئيس الشيشاني رمضان أحمد قاديروف في العاصمة غروزني لمعالي الأمين العام، واستعراض العديد من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك، ومن بينها «مؤتمر غروزني» الذي استضافته العاصمة الشيشانية غروزني في شهر أغسطس من العام الماضي.

ثم كان لقاء معالي الأمين العام مع فضيلة المفتي العام لجمهورية الشيشان الشيخ محمد صالح مجييف، وفضيلة المستشار الديني لفخامة الرئيس الشيخ آدم شهيدوف، وجمع من علماء الشيشان.

ولا شك أن هذه اللقاءات قد أثمرت من النتائج ما ينبغي التركيز عليها ومن أهمها:

* تطابق وجهات النظر، بالتأكيد على أن «مؤتمر غروزني» لم يُعقد للإساءة لأحد، وأن الجميع يقدرون السعودية حكامًا وعلماء، وأن المؤتمر عُقد لتصحيح وتوضيح مفهوم أهل السُّنة والجماعة، الذي اختُطف وشُوه على أيدي الجماعات التكفيرية المتطرفة. وأن المؤتمر قد التزم بموضوعه وعنوانه، وهو بيان من هم أهل السنة والجماعة، ولم يكفّر أحدًا، بل أقصى فقط عن هذا المفهوم التكفيريين والمجسِّمة والمشبِّهة.

* أن المؤتمر قد أقصى في سياق مقرراته الحقيقية لا المنتحلة عليه، الإرهابيين والتكفيريين الذين عاثوا في الأرض فسادًا من «أدعياء السلفية» و«أدعياء الأشاعرة»، وغيرهم، موضحًا أن أهل السنة والجماعة بريئون منهم.

* أكد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي رئيس مجلس إدارة الهيئة العالمية للعلماء المسلمين نائب رئيس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي الاطلاع على أبحاث المؤتمر التي حفلت بالطرح الموضوعي الداعي للتآلف، والحذر من التطرف والتكفير، تحت مظلة سنة الإسلام وجماعته.. مشيرًا إلى أن من خرجوا على أمر ولاة أمرهم، وعاثوا في الأرض فسادًا بضلال منهجهم التكفيري، هم من جملة الخوارج، أيًّا كان مكانهم، وزمانهم، وأسماؤهم، وأيًّا كانت انتحالاتهم المذهبية وذرائعهم الفكرية.

* أضاف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي: أن من لم يسعه اسم الإسلام فلن يسعه الحق المبين الذي بعث الله به نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم؛ فلا اسم لنا، ولا وصف، ولا شعار، ولا مظلة، ولا مصطلح سوى الإسلام، وأن تنوُّع المدارس الإسلامية يحسب لثراء المنهج العلمي الذي نسير عليه منسوبًا في اجتهاداته الفقهية لكل إمام من أئمة تأصيله على هدي الكتاب والسنة.

إن لقاءات معالي الأمين العام بالفعاليات الشيشانية، وما دار فيها من حوارات أخوية، أكدت أن دين الإسلام هو دين الرحمة والسماحة والتعايش، ودعا الشيخ العيسى إلى تضافر الجهود لمواجهة تيارات الغلو والتطرف الفكري والإرهاب، لافتًا النظر إلى أن بيان الحق، سواء في الفروع أو الأصول، يكون في إطار أدب الإسلام وسمته الرفيع، بعيدًا عن الإساءة والتجريح أو المبادرة بالإقصاء عن جماعة المسلمين، معتبرًا أن أشد ما مُنيت به الأمة الإسلامية فيما طال توافقها وتآلفها ووحدة كلمتها هو الأسماء والأوصاف والشعارات المحدثة التي تناحرت بها بعد شؤم مزاحمتها لاسم ووصف وشعار الإسلام الجامع الذي سمانا الله تعالى به.

وبيَّن معالي الأمين العام أن هداية الإسلام لا تختزل في منهج أحدٍ بعينه سوى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فهو أسوة الجميع، وهو المعصوم وحده فيما يبلغه عن ربه جل وعلا، ومَن سواه ليس بمعصوم؛ ويعتريه الفوات والخطأ، سواء في الأصول أو الفروع، وكلٌّ يؤخذ من قوله ويرد إلا مَن عصمه الله تعالى، وهو نبينا محمد - عليه الصلاة والسلام - وحده دون سواه. وقد سلك الخلفاء الراشدون ـ رضوان الله عليهم ـ من بعده صلى الله عليه وسلم مسلك الحق؛ فاتباع سنتهم مأمور به على لسان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقد علم المولى سبحانه في سابق علمه هداهم ورشدهم من بعده عليه الصلاة والسلام؛ فهم على نهجه بهداية الله وحفظه لهم، ومن سلك سبيلهم فهو على الهدى.

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية

معالي الأمين العام

أ.د. محمد بن عبد الكريم العيسى

المشرف العام على المهام الإعلامية المكلف

أ. عادل بن زامل الحربي

مدير إدارة الشؤون الإعلامية

محمد بن بكر حمدي

رئيس التحرير

د. عثمان أبوزيد عثمان

مدير التحرير

شاكر بن صلاح العدواني

المراسلات: مجلة الرابطة ص.ب ٥٣٧ مكة المكرمة

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠١٠٧٧

سنترال: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩

المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير

البريد الإلكتروني: rabitamag@gmail.com

الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت www.themwl.org

أخبار العالم الإسلامي www.mwl-news.net

طبعت بمطابع تعليم الطباعة

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٤٣ – ردمد: ١٦٩٥–١٦٥٨

مؤتمر (الخطاب الوسطي والأمن المجتمعي) يدعو إلى التصدي لتيارات الغلو والتطرّف وبيان جنايتها على صحيح الإسلام

طالب المؤتمر العالمي «الخطاب الوسطي والأمن المجتمعي» الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي برعاية فخامة رئيس جمهورية باكستان الإسلامية السيد ممنون حسين، في العاصمة الباكستانية إسلام آباد؛ بتطوير الخطاب الوسطي بما يراعي فوارق الزمان والمكان، ويتلاءم مع ثابت الإسلام القائم على الاعتدال، ويعالج مشكلات المجتمع المعاصرة، بعيداً عن الانفعال الذي يعبّر عن ردّة فعل آنية تَغفل عن الآثار البعيدة.

المحتويات

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي: الجميع بحاجة لسمة الإسلام الحق..... ٤

مؤتمر (الخطاب الوسطي والأمن المجتمعي):..... ٨

الرئيس الباكستاني يشيد خلال استقباله د. العيسى بنتائج مؤتمر الخطاب الوسطي والأمن المجتمعي..... ١٢

د. العيسى مستقبلاً العلماء والمفكرين ضيوف الجنادرية..... ١٤

الأمين العام للرابطة يلتقي مفتي لبنان..... ١٦

حديث مع ماجد الموسى عضو جمعية مسلمي اليابان..... ١٧

لماذا تفرق الصين بين مسلميها في المعاملة؟..... ٢٢

علماء أعلام من الصين خدموا الإسلام والمسلمين (٣/١) ٢٦

المحتويات

العدد: ٦٠٤
جمادى الأولى ١٤٣٨ هـ - فبراير ٢٠١٧ م

حوار مع ماجد الموسى

يسر مجلة الرابطة أن تستضيف الأستاذ ماجد بن عبد الله الموسى الذي تعرَّفنا عليه من خلال جهوده في العمل الخيري والدعوي في اليابان. ضيفنا هو عضو الجمعية اليابانية لدراسات الشرق الأوسط، وجمعية مسلمي اليابان، والجمعية اليابانية العربية، وجمعية مسلمي هيروشيما، المستشار لعديد من الجهات والبرامج الدعوية في اليابان وخارجها، وأحد كتاب موقع الإسلام في اليابان.

اختيار خادم الحرمين لنيل جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام

(واس) - الرياض

تم اختيار خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - لنيل جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لهذا العام ، نظير عنايته - أيده الله - بخدمة الحرمين الشريفين وقاصديهما، واهتمامه بالسيرة النبوية ودعمه لمشروع الأطلس التاريخي للسيرة النبوية ، وسعيه الدائم لجمع كلمة العرب والمسلمين لمواجهة الظروف الصعبة التي تمر بها الأمتان العربية والإسلامية.

جاء ذلك خلال إعلان الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز مستشار خادم الحرمين الشريفين ، أمير منطقة مكة المكرمة الرئيس التنفيذي لمؤسسة الملك فيصل الخيرية ، رئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية، أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية في دورتها «٣٩» لهذا العام ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧ م، في فروعها الخمسة.

وأقيم حفل خطابي بهذه المناسبة في قاعة الاحتفالات بمبنى مركز الخزامى، بحضور أعضاء لجان الاختيار، حيث ألقى الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز كلمة رحب فيها بالفائزين، وحضور حفل إعلان أسماء الفائزين بالجائزة.

وقال الأمير خالد الفيصل: «هذه الجائزة تحمل اسم الرجل الذي عندما سُئل في آخر لقاء صحفي له عن كيف يرى المملكة العربية السعودية بعد سنة ٢٠٠٠ قال ما معناه: أتمنى أن تكون المملكة مصدر إشعاع للإنسانية، رحم الله فيصل بن عبدالعزيز، وأسكنه فسيح جناته، وجمعنا وإياه في جنات نعيم إن شاء الله.

في جمهورية ملاوي.. الإسلام أكثر الأديان نموًا..... ٢٩
المجتمع الماليزي ليس بدعا عن المجتمعات الإسلامية المختلفة..... ٣٥
هل يمكن إرساء احترام متبادل بين الإسلام والغرب؟..... ٣٩
الفكر الاقتصادي ومساهمة المسلمين فيه..... ٤٥
ندوة دولية بالمغرب تناقش قضايا الحوار..... ٤٩
تهميش الشباب يهدد بإجهاض جهود التنمية في المنطقة..... ٥٢
ماذا فعلنا بـ"بيئتنا الجميلة"؟!..... ٥٧
صور من عناية الإسلام بـ"الصحة النفسية"..... ٦١
أفياءُ الدعوة..... ٦٤

في افتتاح مؤتمر (الخطاب الوسطي والأمن المجتمعي)

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي :

الجميع بحاجة لسمة الإسلام الحق..

إسلام آباد:

أكد معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي عضو هيئة كبار العلماء الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، حاجة الجميع للقيم العالية التي تمثّل سمة الإسلام الحق، وتكوين خطاب سامٍ بسمو مصدره متسم بالوسطية والتوازن في محاكماته، متحر الصدق والحقيقة في مادته، والجمالية في روحه وأسلوبه معً الترفعٍ عن التجريح والحدة في تناولاته، والارتقاء بالجميع وعياً وسلوكاً في أهدافه ورسالته، لا سيما فيما يتعلق بسلامة المنهج والفكر الذي يحفظ الهوية الإسلامية بنقائها وخيرها على الإنسانية أجمع. وأفاد معاليه أن التطرف الإرهابي عبارة عن سلوك عدواني يستهدف الإخلال بالأمن وتقويض أركان الاستقرار، ويتناقض مع أصول أحكام الشريعة ومقاصدها، داعيًا إلى تنسيق الجهود الإسلامية كل بحسب موقعه وقدراته واختصاصه، لإيجاد قاعدة للعمل المشترك في صد هذه الظاهرة الشاذة المرعبة المحدقة بالجميع. جاء ذلك في كلمة معاليه في افتتاح المؤتمر العالمي « الخطاب الوسطي والأمن المجتمعي» الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع جمعية أهل الحديث المركزية في باكستان، برعاية فخامة الرئيس الباكستاني ممنون حسين، وحضور وزير الشؤون الإسلامية والتسامح الديني الباكستاني السيد سردار محمد يوسف، والشيخ ساجد مير المشرف العام على جمعية أهل الحديث المركزية بباكستان، وسفير خادم الحرمين الشريفين لدى إسلام أباد الأستاذ عبدالله بن مرزوق الزهراني، وجمع من العلماء والمفكرين وأعضاء السلك الدبلوماسي في إسلام أباد.

وعبر أمين عام رابطة العالم الإسلامي في كلمته في حفل الافتتاح: عن سعادته بهذا اللقاء الدعوي برعاية فخامة رئيس الجمهورية الباكستانية، ليساهم في ترشيد الخطاب الإسلامي ويصب في مصلحته التي تمثل مصلحة الإسلام

> يجب التصدي للمُتعالمين الذين يسارعون في التكفير والتضليل

وأهله والإنسانية أجمع.

وأضاف معاليه: «إن الوسطية صفة لازمة في الأمة الإسلامية تترجم منهاج دينها الحنيف؛ قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) البقرة/ ١٤٣.. وقال سبحانه: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) الأنعام/ ١٥٣.. وقال: (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) الأنعام/ ١٦١.

ولفت معاليه إلى أن من صميم الوسطية التي تتسم بها الشريعة الإسلامية الخاتمة، التيسير ورفع الحرج والضيق الذي كان في بعض الشرائع السابقة، عقوبة لأصحابها: (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) الأعراف/ ١٥٧.. (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) الحج/ ٧٨.. وفي الحديث: «إني أرسلت بحنيفية سمحة». وفي آخر: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا». وفي ثالث: «إن الدين يسر، ولن يشادَّ الدينَ أحد إلا غلبه». وقال: «هلك المتنطعون» ثلاث مرات. وقال: «إياكم والغلوّ في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ في الدين».

وزاد معالي الدكتور محمد العيسى: إن الإسلام رسالة عالمية خالدة، تستبطن دواعي القبول وقابلية الانتشار؛ فهو رسالة رحمة: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (الأنبياء/ ١٠٧.. وشريعته محكمة المبنى معقولة المعنى، فطرية الأساس، جارية على مقتضى مصالح الناس.

وقال معاليه إن علماء الإسلام قد أبرزوا عبر العصور الوسطية كمبدأ ثابت ومنهاج أصيل، في مختلف مناحي الثقافة الإسلامية وفروعها، إن على مستوى التصورات والمفاهيم، أو على مستوى السلوك والتطبيق، وفي الأصول والفروع، في العقيدة والعمل، مضيفاً أنهم بإبرازهم لمعالم المنهاج الوسطي، اتضحت المحكمات وانكشف دخيل الأفكار والأوهام والمغالطات، واستبان سبيل المتنطعين الغالين، ودُحضت

> علينا إيجاد قاعدة للعمل المشترك في صد ظاهرة التطرف الإرهابي المحدقة بالجميع

حججهم.

وأفاد أن وسطية الإسلام تعبر عن المرونة التي يتمتع بها، في تناول الأمور، وسياسة الخلق، والتجاوب مع تغيرات الواقع ومجرياته، في إطار الأصول العقدية والثوابت التشريعية، وضمن وحدة الأمة الفكرية والسياسية، واستقلاليتها الحضارية، وأن هذا لا يؤثر على ما قررناه من أن الوسطية أصل ثابتٌ لا يتغير في الخطاب الإسلامي فالمرونة هنا مرونة أداة ومرونة تنوع بحسب المتلقي.

وأكد معاليه أن رابطة العالم الإسلامي في مختلف مناسباتها، تؤكد على أهمية تضافر جهود حملة العلم، وقادة الدعوة والإصلاح، ومؤسسات التعليم والإعلام، في ترسيخ وسطية الإسلام في الوعي العام، والتصدي للمتحكمين المتعالمين، الذين يسارعون في التكفير والتضليل، والطعن في العلماء، وتزيين الخروج على الحكام، مستغلين في الشباب ضعف صلتهم بالعلم والعلماء، وقلة زادهم من الثقافة الدينية، وسهولة اصطيادهم عبر الشبكة الرقمية للمعلومات والاتصال.

وحذر أمين رابطة العالم الإسلامي خلال كلمته من التطرف الفكري، وما أفرزه من تنظيمات تمارس العنف والإرهاب باسم الدين وتحت شعاره، مبيناً أن التطرف الفكري ظاهرة تمددية ألقت بظلالها القاتمة على المجتمعات المسلمة، فأرهقتها وأرّقتها بفتن وصراع مرير، وزعزعة الأمن وإنهاك الاقتصاد، والتأثير السلبي على العلاقات الاجتماعية، كما أضعفت الصلة بالمرجعية الإسلامية، وجرأت الأغرار والجهلة على العلماء والمفتين، ولمعت أسماء لا حظ لها من العلم إلا ضحالة الفهم والدعاوى الجوفاء.

ودعا معاليه للتصدي لظاهرة التطرف الفكري عبر الإحاطة بها من جوانبها، ودراستها في أبعادها الفكرية والنفسية والاجتماعية، وتحليل أسبابها ورصْد آثارها المختلفة، ومن تلك الحصيلة الشاملة تُستخلَص سُبلُ علاجها.

وشدد الشيخ الدكتور العيسى على أن الأمن ضرورة من ضرورات الحياة الفردية والاجتماعية، وله مقومات ومقتضيات بها يقوم ويستقر ويستمر، ومن أهمها إقامة العدل من غير تمييز ولا محاباة، والحزم في صيانة حقوق الناس، والتصدي للجريمة وظواهر التسيب والفساد، وانتهاك الحرمات والمقدسات، والتطاول على القيم الدينية والاجتماعية، بذرائع الحرية وحقوق الإنسان، مؤكداً ضرورة أن يتناسق ذلك ويتكامل مع الاضطلاع بمهمة التوعية والتثقيف الاجتماعي، بقداسة

العدالة والحقوق، والكرامة الإنسانية، وأهمية العلاقات الاجتماعية الإيجابية التي جلّاها الإسلام في التناصح، وتأكيد حق الجماعة، والتعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذا التثقيف باحترام النظام العام والانصياع للنظام العام.

وشدد العيسى على أن التطرف الإرهابي سلوك عدواني يستهدف الإخلال بالأمن وتقويض أركان الاستقرار، وأنه بذلك يتناقض مع أحكام الشريعة ومقاصدها.

وأكد معاليه أن الرابطة تؤكد في مناسباتها المختلفة على تنسيق الجهود الإسلامية، كل حسب موقعه وقدراته واختصاصه، لإيجاد قاعدة للعمل المشترك في صد هذه الظاهرة الشاذة المرعبة المحدقة بالجميع؛ لافتاً النظر إلى أن التهديد الذي تشكله لا يقتصر على الجوانب المادية من حياة الناس، بل يمتد إلى الجوانب الفكرية، وذلك أخطر وأمرّ، إذ لو تتمكن الجماعات التي تتبنى المناهج الإرهابية من مقاليد الأمور، فإنها حتماً ستسعى لقلب معادلة الإسلام تزويراً وتشويهاً وهو ما لم يكن لهم بحمد الله سابقاً ولن يكون لهم بإذن الله لاحقاً وإنما هي عواصف عارضة -في جملة سنة الله تعالى في خلقه- تصول بعنفوان طيشها وجهلها ثم تذهب كأن لم تكن.

وقال معاليه إنه من هذا المنطلق فإن الرابطة بادرت إلى الترحيب بالتحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب، بقيادة المملكة العربية السعودية، وتم الإعلان عنه في ربيع الأول من

العام الماضي (ديسمبر ٢٠١٥م)، باعتباره إطاراً للعمل المشترك على مستوى الدول الإسلامية، مع الترحيب به من قبل دول داعمة من غير الدول الإسلامية ما يؤكد الحفاوة العالمية بهذا التوجه الإسلامي الرشيد، وأعلنت الرابطة استعدادها للتعاون مع هذا التحالف، لكونه لا يقتصر على الجهود العسكرية، بل وسع دائرة عمله لتشمل الجوانب الفكرية والإعلامية.

وفي ذات السياق أضاف معاليه أن الرابطة أشادت بمركز الحرب الفكرية بوزارة الدفاع في المملكة العربية السعودية، وعقدت عزمها على التعاون معه؛ لكونه منبراً مهماً للعمل الإسلامي في المجال الفكري، يتجلى فيه وجه من الشمولية والعالمية التي تعالج بها المملكة هذه الآفة.

وتابع د. العيسى: أن الرابطة أكدت على أهمية أن يخرج الخطاب الإسلامي بالصورة المثلى اللائقة به وأن يتجاوز سلبياته في بعض أطروحاته؛ إذ لا بد أن يهدف إلى المعالجة لا المواجهة، وألا ينجر إلى تشخيص الخلاف وأن يقتصر على المرض لا المريض والفعل لا الفاعل، حذراً من لغة العداء والكراهية، وأن يدرك أن الاختلاف والتنوع والتعددية سنة كونية، وأن مصادمتها خسارة مزدوجة فلا هي بذات عائد إيجابي على وصف العالم أو الداعية، ولا هي في عمومها مسلك حسن في تبصير الناس، وقد قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» والتنوع والاختلاف ينشآن غالباً عن ضعف المتلقي فإذا قوبل بردة فعل سلبية عاد بنتائج غير محمودة، لكن مع الإيمان بهذه السنة الكونية والرفق بالخلق ورحمتهم ومحبة الخير لهم يصل العالم والداعية إلى مَعْقِد الحكمة في الدعوة والتبصير.

وزاد معاليه أن الرابطة أكدت أيضاً على الحذر أيضاً من جر القضايا الفرعية إلى منطقة العقائد والأصول للتقوي بها من جهة أو تضخيم مسائلها من جهة أخرى.

وجميع ما سبق يؤكد أن لحرية الرأي سقفاً يجب أن تقف عنده، فإذا انسحب ذلك على ضلال فكري من شأنه أن يُحدث أفعالاً ضارة على السلم الاجتماعي والسكينة العامة وجب تجريمها وقائياً، والوقوف عند فوضاها بحزم، مع أهمية تفكيك تسلل رسائلها المتطرفة علاجياً.

وختم معاليه كلمته بالشكر الجزيل لجمهورية باكستان الإسلامية، ممثلة في راعي المؤتمر فخامة الرئيس ممنون حسين، على استضافة هذا المؤتمر المهم، والرعاية الكريمة له، في إطار التعاون الإسلامي الذي تتميز به الحكومة الباكستانية.

وكان حفل افتتاح المؤتمر قد شهد عددا من الكلمات من قادة المجالس والفعاليات الإسلامية المشاركة؛ حيث أكدوا على أهمية المؤتمر في توحيد الكلمة وجمع الصف الإسلامي في مواجهة دعوات التطرف والفكر الإرهابي.

وثمن المشاركون الجهود العظيمة التي يبذلها خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، وولي عهده الأمين، وولي ولي عهده، لجمع كلمة المسلمين وتحقيق الأمن والسلام والاستقرار في المنطقة، معربين عن سرورهم وتقديرهم للمملكة العربية السعودية في تكوين التحالف الإسلامي العسكري، وإنشاء مركز الحرب الفكرية التابع لوزارة الدفاع بالمملكة.

كما أكد المتحدثون الوقوف إلى صف المملكة في موقفها الداعم للشرعية في اليمن، مؤكدين أن الشعب الباكستاني يقف إلى جانب الجندي السعودي في دفاعه عن أرض الحرمين الشريفين.

وأشادت الخطب التي شهدها حفل الافتتاح برؤية الرابطة الجديدة التي تضع نشر مبادئ الإسلام السمحة والتصدّي لتيارات الغلو والتطرف التي تمزّق الأمة وتهدد مكتسباتها على رأس أولوياتها، مثمنين للرابطة عقد هذا المؤتمر في إسلام أباد.

يذكر أن المؤتمر قد تناول في يومه الأول محوري الإسلام ومنهجه الوسطي، والتطرف الفكري في ميزان الشرع، حيث ناقش في محوره الأول حرمة الدماء وعصمتها في الإسلام، والوسطية الفكرية بين النظرية والتطبيق، ودور العلماء في معالجة الغلو والتطرف، فيما ناقش المحور الثاني فقه التعايش في الإسلام وضوابطه، والمسلمون والتعدد الثقافي، ومسؤولية تحقيق الأمن والاستقرار.

مؤتمر (الخطاب الوسطي والأمن المجتمعي):

يدعو إلى التصدي لتيارات الغلو والتطرف وبيان جنايتها على صحيح الإسلام

طالب في بيانه الختامي بخطة استراتيجية شاملة ومتكاملة لمواجهة الفكر المتطرف في التكفير والتضليل

إسلام آباد:

طالب المؤتمر العالمي «الخطاب الوسطي والأمن المجتمعي» الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي برعاية فخامة رئيس جمهورية باكستان الإسلامية السيد ممنون حسين، في العاصمة الباكستانية إسلام آباد: بتطوير الخطاب الوسطي بما يراعي فوارق الزمان والمكان، ويتلاءم مع ثابت الإسلام القائم على الاعتدال، ويعالج مشكلات المجتمع

اعتبار الشعارات والأسماء والأوصاف الطارئة على اسم الإسلام الجامع تصعيداً في المنطقة الملتهبة

المعاصرة، بعيداً عن الانفعال الـذي يعبّر عن ردّة فعلٍ آنية تَغفل عن الآثار البعيدة.

كما طالب المؤتمر في بيانه الختامي بالتصدّي لتيارات الغلو والتطـرّف، وبيان جنايتها على صحيح الإسـلام، وتحصين الشـباب من أخطارها بنشـر ثقافة الاعتدال، والنأي بهم عما يؤجج الفـتن ويثير عداء الآخرين للإسـلام وحضارته وأبنائه، وتصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام وأحكامه، من خلال بيان تعاليم الكتاب والسنّة، ودعوتهما للوسطية سلوكا ومنهجاً، وتحذيرهما من الغلو والجفاء.

ودعا المؤتمـر العلماء والدعـاة وأسـاتذة الجامعات ورجال التربيـة والإعـلام لبذل جُهـد جماعي منسَّـق لفضح افتراءات المتطرفين، وكشـف شُـبهاتهم، وتعريف الناس بزيف شعاراتهم وبطلان دعاواهم، مؤكداً على أهمية بيان حقائق الإسلام بنشر العلم الشرعي الصحيح المنبثق من أصول الدين، بعيداً عن تحريـف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وأوصى البيان المؤسسات التعليمية والتربوية والدعوية إلى تعزيز الخطاب الوسطي في مهامها، وتقديم رؤية إسلامية رشـيدة، وترشـيد مناهج التربيـة والتعليم بمـا يتوافق مع المنهج الإسـلامي الحق، ويعزز من قدرات المؤسسـات التعليمية للوقاية من الفكر المتطرف.

وأكد المؤتمر علـى الحكومات الإسـلامية بالعناية بتأهيل العلماء والدعاة النابهين، لمعالجة الواقع وما يجدّ فيه على نور من الكتاب والسنة.

كما أكد المؤتمر على بذل الجهود الحكومية والأهلية العلمية والدعويـة والفكريـة والتربوية والإعلاميـة لوضع خطة استراتيجية شـاملة ومتكاملة لمواجهة الفكر المتطرف وحمايـة المجتمع من آثـاره ونتائجه، وتعزيـز وحدة المنهج، والتخلي عن الشـعارات والأسـماء والأوصاف الخارجة عن اسـم الإسلام الجامع، معتبرين أن أي دعوة خارج هذا الإطار

الحاضن الضامن بإذن الله لجمع الكلمة والألفة والسكينة، هـو تصعيد في المنطقة الملتهبة، وأن من أخرج أيا من أهل الدين الحق عن سـنة المسـلمين وجماعتهـم فهو داعية ضلالة وفرقة وفاتح باب شر على الإسلام وأهله، والمسلمون أحوج ما يكونون لتوحيد صفهم وجمع كلمتهم ليقوموا بالدور الحضاري للإسلام خدمة للإنسانية ورحمة بالعالمين بعيداً عن الصدام الديني والطائفي وعن مطامع السياسة وجنوح التطـرّف واضطلاعاً بالمسـؤولية المتكاملة حيال مواجهة الإرهاب.

وفيما يتعلق بمعالجـة الخلاف بين المسـلمين أوصى المؤتمر بتعزيز التعاون في المشـتركات، ورفْض التعصب والانغلاق في الأسـماء والأوصاف والشـعارات الطارئة على اسـم الإسـلام الجامع، وفتْح باب الحوار، مـع الالتزام بأدب الخلاف، والرجوع إلى الحق، والتحلّي بالإنصاف.

وأكد البيان علـى أن تكون الملتقيـات العلمية والدعوية والفكرية جامعة لكلمة المسـلمين، بعيدة عن التصنيف والإقصاء تحت أي شعار غير شـعار واسم ووصف الإسلام الجامع، محذرة من الأبعاد الخطيرة لهذا الانجرار السلبي في

المطالبة بتعزيز وحدة المنهج والتخلي عن الشعارات والأوصاف الخارجة عن اسم الإسلام الجامع

ظل الأخطار المحدقة بسمعة الإسلام التي تستدعي تضافر الجهود لإبراز حقيقة اعتداله وسماحته، مع ترسيخ الإيمان بالسنة الكونية في الاختلاف والتنوع والتعددية.

كما أوصى المؤتمر بتوجيه وسائل الإعلام إلى الإسهام في نشر ثقافة السلام والتفاهم والاعتدال، والتحلّي بالمصداقية والموضوعية، والنأي عن الترويج لثقافة العنف والكراهية، وإشاعة ما يكدّر صفو العلاقات الأخوية، وإثارة التوتر والشقاق.

وتبنى البيان الختامي دعوة رابطة العالم الإسلامي للتعاون مع المؤسسات الرسمية والشعبية في باكستان لتنفيذ برامج مشتركة هدفها تصحيح المفاهيم المغلوطة عن الدين وبيان الحق فيها، والردّ على الشبهات المضللة؛ لحماية الشباب من الوقوع في شراك الشبهات والتطرف.

كما تبنى الدعوة إلى تعاون الهيئات في الرابطة مع الجمعيات والمؤسسات التعليمية والاجتماعية في باكستان، لمساعدة المسلمين على مواجهة تحديات الفقر والمرض والجهل، وتقديم مشروعات تنموية، ودعوة المسلمين إلى الاعتصام بحبل الله المتين، ومواجهة المشاريع الطائفية التي تَستهدف وحدة العمل الإسلامي الحضاري واستقرار دوله، والتنديد بالممارسات البغيضة لبعض الدول والأحزاب التي تَستغل الدين لتمرير أهدافها السياسية والتوسعية، وأن توظيف الدين لمكاسب سياسية يعتبر في طليعة الجرائم في حق الإسلام.

وطالب البيان الختامي بالحدّ من تأثير الفتاوى الشاذّة بوضع الضوابط الشرعية التي تنظّم الفتوى وتراعي متغيرات الواقع، وتشجيع الفتاوى الجماعية في النوازل والشأن العام، والعناية بالشباب والتواصل معهم لحلّ مشكلاتهم، وتصويب مفاهيمهم، وتحصين أفكارهم، بالعلم الصحيح والأسلوب الحكيم، وتشجيع البحوث والدراسات التي تؤصل لمبادئ الإسلام وقيمه النبيلة، وتُفنّد

التأكيد على مواجهة المشاريع الطائفية كافة التي تستهدف سمعة الإسلام وتقوض الأمن والسلام

رفض التعصب والانغلاق في ضيق الأسماء والأوصاف والشعارات

شبهات المتطرفين وتعالج أفكارهم المنحرفة.

وأعرب المشاركون عن شكرهم وتقديرهم لفخامة رئيس جمهورية باكستان الإسلامية السيد ممنون حسين على رعايته للمؤتمر، وشكروا جمعية أهل الحديث المركزية بباكستان على جهودها في دعم المؤتمر وإنجاحه، كما شكروا وزارة الشؤون الدينية بباكستان على تعاونها في عقد المؤتمر والجمعيات والمؤسسات والمجالس الإسلامية والفكرية والبرلمانية والسياسية كافة التي ساندت المؤتمر بدعمها وحضورها المشكور.

وأشاد المشاركون بالجهود الكبيرة التي بذلها خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود، وولي

دعوة وسائل الإعلام والاتصال إلى النأي عن الترويج لثقافة العنف والكراهية

عهده الأمين، وولي ولي عهده، لجمع كلمة الدول الإسلامية وتحقيق الأمن والسلام والاستقرار ورفع شعار الوسطية والاعتدال في مواجهة التطرّف والإرهاب، معربين عن سرورهم وتقديرهم للمملكة العربية السعودية في تكوين التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب، وإنشاء مركز الحرب الفكرية بوزارة الدفاع بالمملكة العربية السعودية، اللذين سيَكونان- بمشيئة الله تعالى وحوله- درعاً واقياً وحصناً منيعاً ضد الإرهاب وتحقيق السلم والأمن العالمي، ولا سيما مواجهة رسائل التطرف وتفكيكها بوصفها الجذور المغذية للتطرف، والتأكيد على ملء مساحة الفراغ السابقة في التصدي للأفكار الإرهابية.

وشكر المشاركون رابطة العالم الإسلامي على ما تبذله من جهود مباركة في نشر مبادئ الإسلام السمحة والتصدّي لتيارات الغلو والتطرف، ودعوها إلى إقامة المزيد من المناشط والبرامج التي تعزّز السِّلم الاجتماعي والعالمي وترسخ مفاهيم الدين الحق.

وكان معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى قد ألقى كلمة في الجلسة الختامية شكر فيها رئيس الجمهورية والحكومة الباكستانية على تعاونهم في إقامة المؤتمر، مؤكدا حرص الرابطة الدائم على بيان حقائق الإسلام ومبادئه السمحة، ودأبها في ترسيخ منهاج الوسطية والاعتدال، والتصدّي لتيارات الانحراف والضلال، مؤمّلا أن يساهم المؤتمر بتقديم رؤية إسلامية واضحة ترسخ قيم الوسطية في المجتمع، وتحصّن أبناءه من الانزلاق في مسالك الغلو والتطرف، وتحفّزهم على تنمية وطنهم، والعمل على تحقيق أمنه ورخائه واستقراره، وتجسير علاقات السلم والتعايش والتسامح مع الجميع، والتصدي لنظريات التطرف والتوظيف السياسي للإسلام.

الحد من تأثير الفتاوى الشاذّة بوضع الضوابط الشرعية التي تنظّم الفتوى وتراعي متغيرات الواقع

الرئيس الباكستاني يشيد خلال استقباله د. العيسى بنتائج مؤتمر الخطاب الوسطي والأمن المجتمعي

إسلام آباد:

استقبل فخامة رئيس جمهورية باكستان الإسلامية ممنون حسين، معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي عضو هيئة كبار العلماء في القصر الرئاسي في إسلام أباد.

وقد رحب فخامته بمعالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي وبالوفد المرافق له في زيارتهم لباكستان، مشيداً بالجهود الكبيرة التي تبذلها الرابطة لنشر الاعتدال والوسطية من خلال مناشطها الدولية.

كما أشاد فخامته بنجاح المؤتمر الدولي (الخطاب الوسطي والأمن المجتمعي) الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي في العاصمة إسلام أباد، مثمناً للرابطة هذه المبادرة، ومؤكداً على دورها في مواجهة الفكر المتطرف، داعياً فخامته أن يترجم ذلك على أرض الواقع بما يؤثر عملياً على دحر التطرف والإرهاب.

من جهته شكر معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي فخامة الرئيس الباكستاني على حسن استقباله وما لقيه الوفد من حفاوة وتكريم، وعلى رعاية فخامته للمؤتمر الذي نظمته الرابطة، مؤكداً استعداد الرابطة للتعاون مع علماء ومفكري باكستان في تنظيم المؤتمرات والندوات وتكثيف الجهود للتصدي للأفكار المنحرفة والتطرف والغلو، ووضع برامج عملية في هذا المطلب.

وأشار معاليه إلى أن رابطة العالم الإسلامي ومن خلال مجالسها وهيئتها ومكاتبها ومراكزها الإسلامية المنتشرة في أنحاء العالم تضع توعية المسلمين وتثقيفهم بالدين الإسلامي الصحيح في عباداتهم وتعاملاتهم وفق الكتاب والسنة بعيدا عن الغلو والتطرف والطائفية؛ على رأس أولوياتها.

بعد ذلك قدم معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي هدية تذكارية لفخامة رئيس جمهورية باكستان الإسلامية.

الصحف الباكستانية تولي مؤتمر الرابطة اهتماماً خاصاً وتبرزه على صفحاتها

إسلام آباد - واس

أبرزت الصحف الباكستانية الصادرة أخيراً، إعلان القيادات السياسية والإسلامية الباكستانية عن دعم وتأييد قرارات المملكة العربية السعودية في الدفاع عن أمنها، وتشكيل قوات التحالف العسكري الإسلامية لمكافحة الإرهاب الذي يهدد الأمة الإسلامية، وذلك خلال المؤتمر الدولي الذي عقدته جمعية أهل الحديث المركزية في إسلام آباد بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي بعنوان (الخطاب الوسطي والأمن المجتمعي).

واهتمت بقرار القيادة العسكرية الباكستانية على تكثيف الجهود لمكافحة العناصر الإرهابية التي تهدد الأمن والاستقرار في باكستان.

وأخبرت الصحف عن ارتفاع حصيلة ضحايا الانفجار الدموي الذي استهدف سوقاً في مدينة باراتشنار الباكستانية إلى ٢٥ قتيلاً وأكثر من ٨٠ جريحاً.

وتناقلت استنكار المجتمع الدولي للانفجار في سوق مدينة باراتشنار، وإبداء الدول الصديقة التضامن مع باكستان في مكافحة الإرهاب.

وتطرقت إلى عزم الحكومة الباكستانية على العمل مع الإدارة الأمريكية الجديدة لتعزيز العلاقات الثنائية مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وتابعت صحف باكستان تطورات مشروع الممر الاقتصادي الذي تعمل عليه باكستان بالتعاون مع الصين.

د. العيسى مستقبلاً العلماء والمفكرين ضيوف الجنادرية:

شعارنا في رابطة العالم الإسلامي «الإسلام للجميع» وندفع «الإسلاموفوبيا» بالتي هي أحسن

الخطاب المتشدد في طليعة المواد الأولية لصناعة التطرف.

الرياض:

استقبل معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى صباح اليوم السبت ضيوف الدورة الحادية والثلاثين من المهرجان الوطني للتراث والثقافة، من العلماء والمفكرين.

وتحدث معاليه للضيوف عن رؤية ورسالة وقيم وأهداف رابطة

تحديث الخطاب الإسلامي يجري في سياق تغير الفتوى والحكم بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال مع ثبات هويته.

العالم الإسلامي، موضحاً أن الرابطة حاضنة للشعوب الإسلامية تحمل رسالة إسلامية عالمية تحت شعار الإسلام للجميع، ورسالة إنسانية تحت مظلة التسامح والتعايش والرحمة ومحبة الخير للجميع.

وأشار الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي إلى أن الوسطية والاعتدال تمثل المرتكز الأساس الذي قامت عليه رسالة الإسلام، ما يتعين أن تكون وسائل الدعوة إليه على مستوى هذه الرسالة في العالمية والسمت والسماحة، محذراً من سلبيات الخطاب المتشدد تحت أي ذريعة، وأنه سيكون في ثاني حاله في طليعة المواد الأولية لصناعة التطرف، وأن ظاهرة الإسلاموفوبيا يجب أن تدفع بالتي هي أحسن وللحكمة الإلهية مع هذا الخُلُق الرفيع نتيجة حتمية، وأن الآخر سيواجه التوجس المطلق والكراهية المجردة بما يسمى بالغربوفوبيا بموقف مماثل.

وقال معاليه: إن تحديث الخطاب الإسلامي يجري في سياق واحد مع اختلاف الحكم والفتوى باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال والعادات والنيات والأشخاص، وأن فقه الأولويات والموازنات وترتيب المصالح والمفاسد يجب أن يكون حاضراً في وعي المسلم، كما يجب أن نخاطب الآخر بما ينسجم مع فهمه وإمكانية تقبله، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه:» ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة».

وأكد د. العيسى أن الخطاب الإسلامي لا يمكن أن يتنازل عن هويته وثابته مطلقاً لكنه يجدد في الأساليب والأدوات وهي الحكمة الإسلامية في الدعوة، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.

وأضاف: أن محاولة خطف التطرف لمظلة الإسلام ومن ثم الترويج لباطله ومغالطاته ومزالقه بانتحالها جاء نتيجة الفراغ في مواجهته بدحض تفاصيل شبهاته الفكرية وتوظيفه للعاطفة الدينية فكانت النتيجة مزدوجة الفداحة على سمعة الإسلام لدى آحادي المصادر تحديداً، وهم من سوَّق لهذه الصورة الذهنية السلبية في وسائل الإعلام والمنصات

الفكرية ومن ثم الدوائر السياسية والحقوقية، فواجبنا نحو ذلك مهم للغاية فهذا ديننا وهذه سمعته والشأن يتعلق بعدالة قضيته التي يقف عند حقيقتها كل واع منصف استطلع فاستوعب ولم يجتزئ في مصادره، كما علينا تفكيك رسائل الإرهاب وبيان زيفها.

وأوضح أن الإسلام ما انتشر حيث تقبله الناس ودخلوا فيه إلا بالقوة الناعمة في ثابته الدعوي المستدام وهي الحكمة والموعظة الحسنة وقد نبهت الشريعة أنه لا إكراه في الدين وفي إزاء ذلك بينت أنه قد تبين الرشد من الغي.

وتابع د.العيسى قائلاً: إن ديناً بلغ العالمين حتى دخل الناس فيه أفواجاً ما كان له أن يكون في قلوب الناس محبة وتقبلاً لولا رسالته المفعمة بالرحمة والمحبة والرفق والحكمة ودفع العداوة والأذى بالتي هي أحسن معلماً الجاهل ورفيقاً بالمتطاول « فقولا له قولاً ليناً «. فيما لا يكون خيار القوة الصلبة إلا بالاعتداء أو التهديد ولبسط العدل ومحاربة الظلم والاضطهاد والفوضى، وقد قال الصحابي الجليل في مشهد لافت: «فبأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم ما رأيت معلماً أحسن تعليماً منه».

وكان الضيوف قد تحدثوا في المناسبة موضحين سماحة الإسلام وعالميته ووجوب إيضاح حقيقة دعوته الوسطية المعتدلة ومواجهة المد المتطرف وكشف زيفه وكذبه على الإسلام، منوهين بالدور الحيوي والعالمي لرابطة العالم الإسلامي، ومؤكدين على أهمية حضورها الفعال والمؤثر لإيضاح حقيقة الإسلام والتصدي للتطرف والمفاهيم السلبية التي ترسخت لدى البعض.

الأمين العام للرابطة يلتقي مفتي لبنان

بيروت:

استقبل مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ عبداللطيف دريان في دار الفتوى ببيروت معالي أمين عام رابطة العالم الإسلامي الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، ومعالي الأمين العام لمركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني فيصل بن معمر، بحضور القائم بالأعمال بالإنابة لدى سفارة خادم الحرمين الشريفين لدى لبنان المستشار وليد بن عبد الله بخاري. وتناول اللقاء سبل تمتين العلاقات بين رابطة العالم الإسلامي ودار الفتوى. وفي ختام اللقاء تسلم كل من الدكتور العيسى وابن معمر والمستشار بخاري ميدالية دار الفتوى في الجمهورية اللبنانية قدمها لهم مفتي الجمهورية اللبنانية.

إلى ذلك قال الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى: "إن ملتقى "لبنان يجمعنا" جاء لتعزيز التبادل الثقافي والروحي والقيم الإنسانية بين الجميع". وأكد في تصريح "لوكالة الأنباء السعودية" على هامش الملتقى الثقافي السعودي اللبناني الثاني، تحت عنوان "لبنان يجمعنا"، أن الملتقى جاء ليعزز مفهوم التعددية والتنوع والاختلاف من خلال الإيمان بضرورة التعايش والإيمان بضرورة تغليب المصلحة العليا وتوحيد العمل من أجل الوصول إلى الأهداف المشتركة بين الجميع.

حديث مع ماجد الموسى عضو جمعية مسلمي اليابان

لهذه الأسباب يعزف كثير من الدعاة وطلبة العلم عن التواصل مع اليابان

إعداد: شاكر العدواني

يسر مجلة الرابطة أن تستضيف الأستاذ ماجد بن عبد الله الموسى الذي تعرَّفنا عليه من خلال جهوده في العمل الخيري والدعوي في اليابان. ضيفنا هو عضو الجمعية اليابانية لدراسات الشرق الأوسط، وجمعية مسلمي اليابان، والجمعية اليابانية العربية، وجمعية مسلمي هيروشيما، المستشار لعدد من الجهات والبرامج الدعوية في اليابان وخارجها، وأحد كتاب موقع الإسلام في اليابان (*www.islamweb.jp*). ارتبط الأستاذ الموسى بالعمل الإسلامي في اليابان منذ ما يزيد على عشر سنوات، فقد ابتعث إلى هناك لدراسة اللغة اليابانية، ثم التحق بإحدى الجامعات اليابانية لمرحلة البكالوريوس فالدراسات العليا.

تودُّ مجلة الرابطة في البداية أن تثني على جهودكم في العمل الخيري في اليابان. ولعلكم تعطوننا أولاً شيئاً عن نشاط الدعوة في هذه البلاد:

ـ بسم الله الرحمن الرحيم، بدايةً أشكر لكم التفضل باستضافتي لهذا الحوار.

وقد وفقني الله - سبحانه وتعالى- للاهتمام بشأن الدعوة في هذا البلد قبل أن تطأ قدماي هذه البلاد لأسباب كثيرة، كان أحدها ندرة المعلومات المتوفرة باللغة العربية حول الإسلام في اليابان، ولذات السبب، ولكثرة التساؤلات التي ترد لي عن هذا الموضوع فإني أستميحك العذر والإخوة القراء للاستطراد في بعض النقاط المهمة في ثنايا هذا الحوار سائلاً الله - تعالى - التوفيق والسداد، كما لا يفوتني في هذه الفرصة أن أبارك لكم تولي معالي الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى أمانة الرابطة.

ولا شك أن الدعوة إلى الله أسمى مهنة، ولتوحيده - تبارك وتعالى- بُعث الأنبياء والرسل من قبل، حتى كان مسك الختام ولبنة التمام -صلى الله عليه وسلم-. وأما مكان الدعوة فهو بلاد الشمس، البلد الوحيد من خارج أوروبا وأمريكا المصنف ضمن دول العالم الأول. وتمتلك الدعوة إلى الإسلام في هذه البلاد أبعاداً إضافية متفردة عمَّا سواها من البلدان، بسبب أن تعاطي القوم مع الإسلام وصورتهم الذهنية حياله - وإن كانت سلبية - إلا أنها سطحية طارئة، لم تتعمق جذورها، كما أنها لا تُستمد من إرث ديني كما هو الحال في الغرب، وإن المؤشرات المستمدة من الواقع تؤكد أن الشعب الياباني أحوج ما يكون إلى الإسلام، ولعل تزايد أعداد المنتحرين كل يوم خير شاهد على حاجتهم الماسة لذلك الزاد الروحي واليقين العقلي الذي يقدمه ديننا الحنيف للإنسانية.

ذكرتم أن نشر الإسلام في دولة اليابان تحديداً يأخذ بعداً إضافياً لما سواها، وترى في ذلك أحد الأسباب المادية لتمكين الأمة كيف يمكن فهم ذلك بشكل واضح؟

ـ دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ربه أن يُعز الإسلام بأحد العمرين، واليابان - كما هو معروف - بلد العلوم والتقنية، وهو قلعة صناعية كبرى، جعلته ثالث أكبر اقتصاد في العالم. وتمكين المسلمين اليابانيين فيه بزيادة عددهم وعدّتهم، ونشر العلم الشرعي الصحيح، واستحداث برامج دعوية، تستهدف الشرائح الفاعلة والمؤثرة يمنح المسلمين المزيد من النفوذ والتأثير في المجتمع الياباني بدلاً من أن يكونوا على الهامش.

الأمر الآخر أن اليابان يعاني من نقص المواليد، ومنذ عام ٢٠٠٧م وسكانه في تناقص، ويتوقع أن يشهد تخفيفاً من قيود تجنيس الأجانب، ومن أولئك الأجانب كثير من مواطني الدول الإسلامية كماليزيا وإندونيسيا. ومن ثمَّ فقوة الإسلام فيها من خلال المسلمين الأجانب يزيد من التواصل التعليمي والتقني ومجالات التبادل الثقافي وغيرها بين اليابان وبلادهم الأصلية. وهذا يعود بالنفع على الدول الإسلامية، فالعلوم والتقنية متأخرة كثيراً في العالم الإسلامي، وتكاد تكون اليابان الدولة المتقدمة الوحيدة التي يمكن أن تتعاطى بإيجابية مع مثل هذا المجال، كونها شرقية في الأصل، ولا تبادل المسلمين العداء التاريخي، ولا ترى في استمرار ضعفهم مكاسب لها. وهي على سبيل المثال لا تحرص على إذكاء الصراعات في منطقة العالم العربي، بل نجد الكاتب والمفكر الياباني أوسامو إينودو يقول: «إن أمن الشرق الأوسط ضمان لسلامة وصول الطاقة إلى اليابان». وبذلك فهم يعتبرون أمن الشرق الأوسط جزءًا من أمن بلادهم واقتصادهم.

ولا أقول ذلك رغبة في التقليل من أهمية الدعوة في غيرها من الأقطار، وإنما يدعوني إلى ذلك أننا نرى تباطؤاً لدى البعض حين تَذكر اليابان والدعوة فيه، فالبعض يراه بلداً بعيداً عن الإسلام وأن تكلفة الدعوة فيه باهظة، وفاتورة الهداية فيه غالية، وأن مواطنيه غريبو الأطوار ويصعب التعامل معهم، وأنهم لا يُولون قضية الدين أهمية كبيرة. ذكر مثل هذا بعض المتقدمين، كالشيخ عبد الرشيد إبراهيم رحمه الله، الذي زار اليابان أول القرن الميلادي المنصرم. ولا تزال هذه الصورة النمطية لبلاد اليابان ماثلةً في ذهن الكثيرين حتى يومنا هذا، مما أدى بدوره لعزوف الكثير من الدعاة وطلبة العلم عن التواصل مع المسلمين فيها. وقد أفضى ذلك إلى نتائج غير محمودة لم نكن نتمناها. ونبه البعض لهذا منهم الدكتور عبد الله اليحيى حين ذكر أن فشل الدعوة الإسلامية في اليابان يبقى ظاهرة فريدة، لم تتكرر في التاريخ الإسلامي. ففي تقديري الواجب عند معالجة هذا الأمر، أن نوضح للمهتمين مزايا الدعوة وما ينتظرهم من نجاح في هذه الأرض الخصبة وما يُنتظر منهم في هداية هذا الشعب المتحضر إلى الدين الحنيف.

تُظهر الإحصائيات نسباً عالية لمعتنقي الأديان في اليابان، وأعداداً كبيرة تؤمن بأكثر من ديانة في وقتٍ واحد كيف يمكن فهم ذلك؟

ـ هذا صحيح، وقد سارت بلاد اليابان في ركب الغرب عقوداً مستلهمة أنموذجها الحضاري، فانتفعت به أيما انتفاع، لكنها ضحت بأهم ما تملك وهو الإنسان، حتى صار المجتمع

الياباني اليوم يضع الدين ضمن الأمور الثقافية في الغالب، ولـذا فهو لا يكترث لأمر الأديان ولا يتعصب لها. وما ذكرتموه من الإيمان بأكثر من دين في نفس الوقت دلالة على ذلك، وهذا مؤشـر يراه البعض دليلاً على انعدام إيمانهم بالأديان أصلاً؛ مما يجعلهم لا يمعنـون النظر في مثل هذه المسـائل، ومع أنهم يدينون بالشـنتوية والبوذية والنصرانية، لكنهم في الوقت ذاته لا يوقنون بأي منها - كما يرى البعض- والسـبب أن الفرد الياباني اليوم لا يرى في الأديان المطروحة ما يشفي غليله، كي يطمئن قلباً ويسـتقر روحاً ويطيب نفساً، حتى أصبح معلقـاً لا ملحداً إلحاد الغرب ولا مؤمناً كامل الإيمان، ومن المحزن أنه يسـتثنى من خياراته الإسلام، لأنه لا يُقدم له بالشـكل المناسب، وصورة الإسـلام لديه مشوهة إلى حد كبير. وعلى العكس مـن ذلك يرى بعض المختصين أن ظاهرة الإيمان بأكثر من دين مما يؤكد عمق إيمان الفرد الياباني مدللين بانتشار المعابد والجمعيات الدينية بشكل هائل في اليابان، فعددها ثلاثة أضعاف محلات التموينات الغذائية، مؤكدين على اهتمام الفرد الياباني بالأديان التي هي غذاء الروح أكثر من اهتمامهم بغذاء الجسـد. وهكـذا تختلف الرؤى، لكن الأرقام تثبت لنا أن الشـعب الياباني يحتـل المراتب العليا في نسـب الانتحار اليوم، ويبلغ معـدل الانتحار في اليابان أكثر من سبعين شـخصاً في اليوم الواحد، وما يهمنا هنا أن حالة عدم الاكتراث هذه سـببٌ فيما يعيشه المجتمع من تسـامح ديني عميق تجاه كل الأديان، وهـي فرصة لتطوير وسائل الدعوة الإسلامية بما يتناسب مع حاجة أهل اليابان. فالدعوة متأخرة فيها ومتخلفة كما يرى البعض، وليسـت كما فـي غيرها مـن دول العالم من ناحيـة تأهيل الدعاة و الإعلام الإسـلامي أو تطوير الوسـائل الدعوية كالكتاب الإسلامي أو قضايا الجيل الثاني وغير ذلك.

بالحديث عـن وسـائل الدعوة فـي اليابان، يلاحـظ ندرة الكتاب الإسـلامي باللغـة اليابانية فأيـن الخلل وما هي الطريقة المثلى لمعالجة ذلك؟

ـ هذا صحيح، وأظنها ليسـت ندرة فحسب، ودعنا نتطرق إلى مسـألة أخرى، تندرج تحتها هـذه النقطة وغيرها، ألا وهـي ضعف معرفة كثيـر من الهيئـات الخيرية المهتمة بالدعوة في اليابان مـن خارجها بحال المدعو الياباني، وفي وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ - رضي الله عنه - قبل إيفاده إلى اليمن دلالة على أهمية معرفة حال المدعو قبل دعوته. ومع أن الشعب الياباني عُرف بحرصه الشديد على القـراءة والاطلاع، إلا أن كثيراً مـن الدعاة في اليابان يرون الكتاب الإسـلامي باللغـة اليابانية لا يرقى للمكانة التي تناسب الفرد الياباني المعاصر، ونخص بالذكر الكتب الإسلامية المترجمة والمطبوعة في الدول الإسلامية. كثيراً ما تردنا طلبات ترجمة الكتب الإسلامية إلى اللغة اليابانية من بعض الجهات، لكـن بعرضها على المترجمين اليابانيين المسلمين يرى كثير منهم أنها لا تتسق مع النمط الياباني في التفكيـر، فغالب تلـك الكتب تكـون مكتوبة أصلاً للغرب ومحاكية لأسـلوبهم وطريقة تعاطيهم الفكري، لكن اليابان وإن شـابه الغرب في نظرنا نحن، فهو يختلف عنه كثيـرًا خاصة فيما يتعلـق بالدين، وهـذا يؤثر على جانب آخر لا يقل أهمية وهو توزيع الكتاب الإسـلامي في اليابان، ولو جربت البحث في موقع «أمازون» أكبر مسـوق للكتب على مسـتوى اليابان عن الكتب الإسلامية باللغة اليابانية سـتجد جميع المتوفر فيه تقريباً لكتاب يابانيين وليسـت مترجمة. وجُلّها كتابات مغرضـة، بينما تتوارى الكتب الإسلامية التي تترجم وتطبع خارج اليابان في أدراج الجمعيات الإسـلامية ولا يكتب لها الانتشـار في المجتمع اليابانـي، فهي كجسـم غريب دخل إلى اليابـان ، كاتبه أجنبـي ، وطريقة طرحه غير مألوفة لديهم، ولا يراعى فيه الجوانب الفنية في إخراجه وطباعته. ولا دار نشـر معروفة داخل اليابان تسـتفيد من إيرادات مبيعاته؛ حتى تسـوّقه وتنشـره. وفي المقابل نرى الكثير من اليابانيين المسـلمين المؤهلين لخوض غمار النشـر والتأليف ممن درسوا في الدول الإسـلامية لا يحظون بدعم مثل تلك المؤسسات لتأليف ونشـر مؤلفاتهم، مـع أن دعم أمثالهم -علـى ندرتهم-

أدعى لانتشار الكتاب الإسلامي في اليابان، فالترجمة إلى اليابانية لن تكون بأي حال كالكتابة بها، وأن يكتب لهم مؤلف من بني جلدتهم بلسان قومه.

تطرقتم إلى موضوع مهم وهو ندرة الدعاة اليابانيين المؤهلين، فما هي الأسباب وما نتائج ذلك؟

ـ أول سبب في ظني؛ سببٌ تاريخي، وهو تأخر دخول الإسلام إلى هذه البلاد، فتكاد اليابان تكون آخر بلد في العالم يصل إليه الإسلام، فلم يدخلها سوى منذ قرابة مائة عام، ولذا فالمجتمع الإسلامي الياباني الآن في طور تشكيل هويته الثقافية الإسلامية اليابانية. وعلى قيادات العمل الدعوي في العالم الإسلامي استثمار الفرصة السانحة في تلك المرحلة بدعم هذا الحراك والمساهمة في تشكيل تلك الهوية بما يتسق مع تعاليم الإسلام، ويتناغم في الوقت نفسه مع المجتمع الياباني بثقافته وعاداته وقيمه، وخاصة في ظل ما نراه من نشاط بعض النِّحل الضالة.

لكن أقوى الأسباب هو ندرة الدعاة، فهناك غياب رؤية لدى كثير من الجهات الدعوية، عملت على استهداف الفئات غير المؤثرة في المجتمع، عبر برامج دعوية تستقطب الفقراء المعدمين وغيرهم، وهذا جانب إنساني رائع، لكن غيره أجدى منه خاصة في المجتمع الياباني، حيث إنه رسَّخ الصورة الذهنية عن معتنقي الإسلام في المجتمع الياباني بأنهم أناس يعانون من أمراض نفسية أو مشاكل اجتماعية، ومن الوسائل الهامة إقامة المناشط والفعاليات الدعوية التي تستهدف قادة الرأي في المجتمع بالإضافة إلى العامة، ومن خلال اتخاذ وسائل دعوية تعمل على تطبيع الإسلام في أوساط المجتمع الياباني بمختلف فئاته.

وترجع ندرة الدعاة إلى انعدام الحاضنة المناسبة لهم حين يرجعون إلى اليابان، فأعداد منهم تُبتعث للدراسة في الدول الإسلامية، لكنهم لا يحظون إذا عادوا بفرصة عمل لائقة في الجمعيات الإسلامية والمساجد، وبحسب آخر إحصائية أوردتها في كتابي، لا يوجد حتى اليوم إمام راتب ياباني واحد لأي من مساجد اليابان، لأنها لا تملك الميزانيات الكافية لتوظيفهم، وتلجأ كثير منها إلى توظيف الأجانب ممن لا يتقن أكثرهم اللغة اليابانية، وهذا يعوق تواصلهم مع محيطهم الياباني ويجعل نشاطهم محصوراً للمسلمين في داخل المساجد، فيؤدي إلى تحجيم دورهم في محيطهم الجغرافي ويقيِّد انتشارهم في المجتمع الياباني، وأحد الحلول المطروحة إقامة الأوقاف بصيغتها الإسلامية داخل اليابان بصفتها.

وماذا عن إقامة الأوقاف الإسلامية داخل اليابان، فهل توجد خطوات عملية لذلك؟

نعم، إقامة الأوقاف بصيغتها الإسلامية داخل اليابان من شأنه أن يثري الأبحاث المتعلقة بالأوقاف الإسلامية في العموم، وإذا علمنا تطور البحث العلمي في هذه البلاد؛ ندرك إمكانية استفادة الأوقاف في العالم الإسلامي من مثل تلك البحوث، مما يثري البحث العلمي ويعطيه بعداً جديداً بالنكهة اليابانية أو ما يسمى «كايزن» الذي يعد أفضل مدرسة في هذا المضمار لتركيزه على الجودة النوعية، والعمل على التحسين والتطوير المستمر.

إضافة لما يتبع ذلك من إعطاء مساحة أوسع للعمل الدعوي والخيري الإسلامي في الداخل الياباني، حين يكون تمويله ناجماً عن استثمار في الأسواق المحلية، بدلاً من تلقي مبالغ تأتي من الخارج، وتصرف بشكل عشوائي في الداخل، ثم تنتهي الفائدة الاقتصادية منها. واستشهد هنا بما قاله أحد الباحثين إنه حين شعر اليابانيون في فترة ما بأهمية الاستفادة من الغرب؛ أفسحوا المجال حينئذ للنصرانية، وهذه النظرية تنطبق تماماً على علاقة اليابان بالإسلام.

ونجد تجاوب اليابان وانفتاحه على التمويل الإسلامي واضحاً، ويأتي تطوير بورصة طوكيو لأسهم الشريعة (Sharia Index S&P/TOPIX ١٥٠) مثالاً يؤكد ذلك التوجه. وسمحت اليابان بالعمل بالتأمين الإسلامي عام ١٤٢٨هـ، ثم صدرت أولى الصكوك الإسلامية اليابانية عام ١٤٣٣هـ، كما أن الأوقاف بصيغتها الإسلامية في طريقها إلى اليابان، حيث تجري دراستها وإمكانية مواءمتها مع النظام المعمول به في اليابان. وقد قدمت دراسة متواضعة حول هذا الأمر لعلها مع غيرها من البحوث والدراسات تجد القبول لدى صناع القرار. ونرى الأوقاف الإسلامية في اليابان إن شاء الله.

والناظر للمراكز الإسلامية في اليابان يجدها في المجمل تشتكي من ضعف التمويل، كما هو الحال في كثير من البلاد، وهذا ينعكس بالسلب على أداء رسالتها، ويعيق من قدرتها على التأثير في المجتمع الياباني، ومن أهم أسباب ضعف التمويل أنه يأتي من خارج اليابان، وما يصاحب ذلك من مخاطر مختلفة، بعضها اقتصادي كتذبذب سعر صرف الين مقابل العملات الأخرى، وبعضها سياسي كالتضييق عليها، وإن كانت بلاد اليابان ليست كبعض دول الغرب التي تشن حملات شعواء على مصادر التمويل الإسلامي لمجرد الاشتباه.

العاملون في مجال الدعوة في اليابان مقلون في توثيق

تجاربهم، لكنكم بادرتم إلى تسجيل خبرتكم في كتاب، فهلاّ حدثتمونا عنه؟

ـ نعم، وفقني الله - سبحانه وتعالى - لإصدار باكورة إنتاجي باللغة العربية وهو مؤلف يقع في قرابة مئتي صفحة عنونته بـ «الدعوة الإسلامية في اليابان..حقائق ومقترحات»، حاولت فيه جمع ما تيسر لي من أخبار الدعوة الإسلامية في هذا البلد، والتحديات التي تواجهها، ومقترحات لمعالجتها. وقد كرمني كلٌ من معالي الشيخ د.سعد الشثري عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، ومعالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي د.محمد بن عبد الكريم العيسى، وفضيلة الشيخ صالح المغامسي، وسعادة الأستاذ أمين توكوماسو الأمين العام لجمعية مسلمي اليابان، بتقديم الكتاب للقارئ. وأسأل الله تعالى أن ينفع به.

مع كل هذه التحديات التي ذكرتموها، يبدو عليك التفاؤل بمستقبل الإسلام في بلاد اليابان!

ـ نعم وأسباب التفاؤل بمستقبل الإسلام في بلاد الشمس، ظاهرة كالشمس في رأد الضحى، أولها الوعد الإلهي بنصر المؤمنين، بل وتحريم اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى، والأحاديث الواردة عمن لا ينطق عن الهوى - صلى الله عليه وسلم- باستخلاف المسلمين، والإيمان بسنة التدافع. وما نراه على أرض الواقع يثبت تلك البشائر . خذ المساجد والمراكز الإسلامية مثالاً على ذلك، ففي عام ١٤٠٠هـ كان عدد المساجد لا يتجاوز الخمسة في عموم اليابان، أما اليوم فهي تربو على مئة مسجد ومصلّى بمعدل مسجد أو مصلى جديد كل خمسة أشهر، وهذا المعدل مرتفع جداً قد لا نجده في بعض الدول الإسلامية، وكذلك فإن الأحداث العالمية تُعد عوامل جذب كبيرة للتعرف على الإسلام، وأصبحت كلمة الإسلام بالنسبة لليابانيين والشباب منهم خاصة، أحد أهم الكلمات المفتاحية لفهم العالم بأسره. يؤكد ذلك استفتاءٌ جرى لعدد من طلاب الجامعات اليابانية، أظهرت نتائجه أن أكثر من ٧٥ بالمئة منهم أكدوا ضرورة تدريس الإسلام في الجامعات اليابانية لكي «يفهموا العالم» ومانراه من تلاشي الشعور المبالغ فيه بالاعتزاز بالأمة اليابانية لدى كثير من الجيل الحديث بشكل ملحوظ، وبات شباب اليابان اليوم أكثر انفتاحاً وتقبلاً لما لدى الآخر.

ويؤكد كثير من الدعاة على أن التسامح الديني في اليابان لا مثيل له في أي مكان آخر في العالم، وأن هذه القيمة الراقية التي يتحلى بها هذا المجتمع مكّنت الدعاة المسلمين من الدعوة بأمن وسلام، بل وصلوا بدعوتهم إلى معابد الأديان الأخرى في جو من التقدير والاحترام والحوار. كما أنه لا توجد دولة في العالم كاليابان تُقرّ بحرية العقيدة دستوراً وقانوناً معمولاً به، كما قال أبو بكر موريموتو رحمه الله. وهذا جانب مهم، وهو ليس حبراً على ورق بل ثبت بالتجربة حقيقة ذلك، أضف إلى هذا دور وسائل التواصل الاجتماعي التي أصبحت بالغة التأثير في المجتمعات، ودورها الكبير في نقل الصورة الحقيقية للإسلام، وفهمه فهماً صحيحاً بعيداً عما يثار حوله في الإعلام الغربي من افتراءات.

تقول إحدى الداعيات اليابانيات: «إن تأخر اليابانيين في الدخول إلى الإسلام ليس لأن الإسلام لا يتناسب مع اليابانيين، بل العكس هو الصحيح، فالفرد الياباني بطبيعته أقرب ما يكون إلى الإسلام في كل سلوكه تقريباً، وليس تخلف الدعوة في اليابان بسبب مزاجي لدى اليابانيين، بل السبب الوحيد هو أن فرص التعرف على الإسلام في اليابان غير متاحة، فأنا عرفته في أثناء وجودي في فرنسا، وصديقتي اليابانية المسلمة عرفته يوم كانت في مصر، وأخرى أسلمت في أستراليا وهكذا...».

كيف يمكن إذن تقديم الإسلام لليابانيين بالصورة التي تناسبهم؟

ـ لعل التركيز على الثقافة من أنجع الوسائل، فالبوابة الثقافية تعد من أوسع الأبواب لتحقيق التواصل وخلق فرص للتعرف على الإسلام في اليابان كما ذكرت الأخت الداعية، خاصة. الشعب الياباني لديه شغف لاستطلاع الثقافات الأجنبية، وثبت لمن جرب أن الندوات الثقافة الإسلامية تجذب الكثير من اليابانيين للتعرف على الإسلام، ولا أدل على نجاح هذا الأسلوب من اتخاذ جمعية مسلمي اليابان وهي أقدم جمعية إسلامية في اليابان اسم «مركز التبادل الثقافي الإسلامي في اليابان»، وقد نَحَوا هذا النحو التقليدي في تسمية مقرهم الجديد، إدراكاً لأهمية الجانب الثقافي لجذب فئات مهمة في المجتمع، لم يكن جذبُها متاحاً عبر الوسائل التقليدية في البلدان الأخرى.

ومن هذا المنطلق أهيب بالجهات الخيرية الدعوية إدراك الوضع القائم هنا، فلا يختلف اثنان على أهمية التواصل مع نخبة المجتمع ورواده في المجالات المختلفة الإعلامية والفكرية والاقتصادية والثقافية وغيرها، وأن إقامة جسور الحوار تختصر الطريق نحو المزيد من التمدد الإسلامي في المجتمع الياباني.

لماذا تفرق الصين بين مسلميها في المعاملة؟

(تقرير خاص)

كتب الأستاذ عماد المديفر مقالاً في جريدة الجزيرة بتاريخ ٢٠١٦/٨/٦م بعنوان: حقائق حول مزاعم اضطهاد المسلمين في الصين، وأضاف تكملة للمقال نفسه نشرته جريدة الجزيرة في ٢٠١٦/٨/١٥م وعنوانه: حقائق أخرى حول مزاعم اضطهاد المسلمين في الصين. وكتب الأستاذ فهد عريشي في الموضوع نفسه بعنوان: (حقيقة قمع مسلمي الصين) في جريدة الوطن في يوم ٢٠١٦/٧/١٥. وواضح اهتمام الكاتبين بأحوال إخوانهم المسلمين في الصين، ولا سيما أن المعلومات في المقالين عن حرية المسلمين في ممارسة شعائرهم الدينية جيدة إلى حد ما، غير أنها تحتاج إلى توقف ومراجعة، لأن ما يكتب عن أحوال المسلمين في الصين هو موضوع يتطرق إليه كثير من العلماء والباحثين ومراسلي وكالات الأنباء العالمية ومراكز البحوث والدراسات، وإن كانت الصحف العربية نادرًا ما تشير إليه بسبب هموم المجتمع العربي، و لكن في عالم اليوم أصبحت المعرفة مشاعة والبحث الدقيق يظهر الحقيقة.

وأحوال المسلمين في الصين على نوعين بحسب القومية والمكان، وحسب ممارسة الحكم الصيني الشيوعي الذي لم يعلن تخليه عن النظام الشيوعي، فالحزب الشيوعي الصيني هو المنفرد بالحكم، ومحاربة الدين تعتمد على الخطة التي يرسمها المكتب السياسي حسب إستراتيجيته.

والمسلمون فئتان في الصين: فئة تعيش في مقاطعة شينجانغ (تركستان) و هم الأكثر، وفئة أخرى تعرف بالمسلمين الصينيين باسم قومية الخوي Huizu، ويرجعون إلى أصول عرقية مختلفة مسلمة، صينية لغتها، وتنتشر في أنحاء الصين مع تمركز في الولايات الغربية بدءًا من ولاية يوننان و جنغهاي وكانسو ونينغشيا إلى منغوليا الداخلية، ويقدر عددهم بعشرة ملايين

ونصف المليون نسمة بموجب إحصائية عام ٢٠١١. وهؤلاء المسلمون يتمتعون إلى حد كبير بحرياتهم الدينية في ممارسة شعائرهم والتعليم الإسلامي في المساجد. والأطفال والشباب؛ الكبير والصغير. يتمتع بفرص التعليم الإسلامي في المساجد والنساء والرجال على مختلف طبقاتهم يتمتعون بحرية الصلاة في المساجد وغيرها حتى إن النساء لهن مساجد خاصة بهن كما جاء في كتاب .The History of Womenٰs Mosques in Chinese Islam: A mosque of Their Own published by Curzon Press ٢٠٠٠. وتهتم السلطات الصينية بأن تؤكد للمسلمين في العالم أن مقاطعة نينغشيا- الذاتية الحكم لقومية الخوي المسلمة. هي بلاد المسلمين التي تعكس مظاهر الإسلام و حضارته في الصين. وقد أنشأت بالاتفاق مع شركة للدعاية والإعلان في الإمارات العربية المتحدة حيًا إسلاميًا (شارع التراث الإسلامي العالمي) على مساحة ٢٥٠ ألف متر مربع في ينجوان عاصمة نينغشيا. وقد مولتها المؤسسات الخيرية في دول الخليج. وذلك بهدف إنشاء جسر يربط العالم الإسلامي بالصين. وركبت الصين موجة القوى التي تدعم نشر التشيع بين مسلمي أهل السنة والجماعة. وبعثت مئات الطلاب الصينيين إلى الجامعات والمدارس في (قم) منها المدرسة الحجتية و جامعات (قم) والمصطفى العالمية و الزهراء وغيرها. مع أن المسلمين في الصين كلهم من أهل السنة والجماعة. ما عدا أقلية إسماعيلية في منطقة تاشقورغان في شينجانغ (تركستان). واحتفل الشيعة في بلدة إيبو القريبة من مدينة شنغهاي بذكرى ولادة الإمام الغائب في حسينية أبي الأحرار في ليلة النصف من

• المسلمون من قومية الخوي يتمتعون بحقوقهم الدينية في إطار قيود قانونية

شعبان. بيد أن "القصائد تغنت بذكر الحشد الشعبي وفتوى المرجعية العليا بالجهاد الكفائي. كما احتفل الطلاب الصينيون مع الملالي في فرع جامعة المصطفى العالمية في جرجان بالعام الصيني الجديد في ٧ فبراير ٢٠١٦م. و وكالة أنباء القرآن العالمية الإيرانية أرسلت القارِئَيْن مهدي غلام نجاد والسيد مصطفى حسيني لزيارة مساجد المسلمين في بكين ولانجو ولينشيا بمناسبة شهر رمضان المبارك ١٤٣٧هـ. وفي أورومجي عاصمة شينجانغ (تركستان) حيث الأغلبية المسلمة من أهل السنة افتتح الأسبوع الإيراني في يوم ٢٣ أغسطس ٢٠١٦م. وهذا ما دعا الشيخ يحيى البوليني للقول: (أنقذوا مسلمي الصين من التشيع قبل فوات الأوان) في مقاله المنشور في موقع رسالة الإسلام بتاريخ ٢٠١٦/٥/١٠م.

وبالطبع هذه الحريات الدينية التي يتمتع بها المسلمون الصينيون ويلاحظها السائحون في الصين من العرب والمسلمين والتي يروج لها الإعلام الصيني تنتشر في الصحف العربية حينًا بعد حين.

ولنا أن نسأل رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة وهي أقدم

• تمنع السلطات مسلمي تركستان من التعليم الديني وحفظ القرآن وحرية العبادة

مؤسسة إسلامية عالمية و لها صلات قوية بالجمعية الإسلامية الصينية المركزية وفروعها في مناطق المسلمين من قبل أن تبدأ العلاقات الدبلوماسية مع المملكة العربية السعودية. هل لها أو كان لها منشط ثقافي إسلامي في الصين خلال علاقاتها الطويلة معها؟

ثم هل المسلمون الصينيون الخوي يتمتعون بحق بكامل حرياتهم الدينية كما يصوره الإعلام حقا؟ والإجابة على هذا السؤال تحتاج

إلى دراســـة الأمور دراســـة علمية بعيدة عن الدعاية الإعلامية والضغوط. ولكن عدم مناسبة الاستطراد في المقال الصحفي يحول بين شرح ما يتطلبه الموضوع من تفصيل والاكتفاء بتقديم نماذج تلقي الضوء على الواقع.

فالصينيون لهم وجهة نظر مختلفة شرحها الكاتبان الصينيان زانغج يانفان Zhang Qianfan و زوي ينغبينغZhu Yingping في بحثهما بعنوان: (الحرية الدينيـــة و قيودها القانونية في الصين (Religious Freedom and Its Legal Restrictions in China المنشـــور في العـــدد الثالث مـــن مجلـــة BRIGHAM YOUNG UNIVERSITY LAW REVIEW الصادرة في ســـبتمبر ٢٠١١. أما الدكتور عيســـى ما Isa MaZiliang، وهو مسلم صيني محاضر فـــي جامعة ماليزيا، فقد شـــرح ما يعانيه الشـــباب المســـلم من مضايقات في بحثه بعنوان : الشـــباب المســـلم في الصين ومشاكلهمMuslim youths in China and their problems.

وقد انتشرت في مقاطعة كانسو فيديو لطفلة مسلمة صينية (خوي) عمرها خمســـة أعوام تضع الحجاب الأسود على رأسها وتتلو آيات من القرآن الكريم في روضة الأطفال من بلدة لنشـــيا الإسلامية تناقلتها وسائل الإعلام الصينية التي اعتبرتها تحديا لنظامها الشـــيوعي مما جعل الرئيس الصيني شي جين بينغان يقول في مؤتمر الأديان الذي عقد في بكين في يومي ٢٢و٢٣ إبريل ٢٠١٦:

In no way should religions interfere with government administration, judiciary and education.

They must not seek their own values and beliefs from religions, Xi said, adding that efforts should also be made to help teenagers form a scientific outlook of the world, and guide them to believe in science, study science and promote science.

(وكالة الأنباء الصينية شينخوا Xinhua ٢٤،٤،٢٠١٦)

وعلى إثر ذلـــك أقيل وانغ زنغـــوي Wang Zhengwei رئيس لجنة الشـــؤون القومية من منصبه وهو مسلم من قومية خوي في ٢٨ إبريل ٢٠١٦م.

James Leibold,Creeping Islamophobia: China's Hui Muslims in the Firing Line, China Brief, Vol.16.Issue 10 , June 21 ,2016 p.12-15.

وصدرت الأوامر المشددة من مديرية التعليم في مقاطعة كانسو بمنع التعليم الإسلامي في المدارس (Chinese Province orders religion out of School , Fox News , Associated Press May 6,2016).

Beijing Restricting Hui Islam While Courting Tourists, China digital Times, August 20,2016.

وأما الفئة الثانية وهم المسلمون في مقاطعة شينجانغ الذاتية الحكم لقومية الأويغور (تركســـتان الشرقية)، وتضم القوميات الإســـلامية المذكورة أدناه وعددها بموجب الإحصاء الصيني لعام ٢٠١٠م وهي:

الأويغور ١٠,٣٦٧,٩٥٨ القازاق ١,٤٦٢,٥٨٨

القيرغيز ١٨٦,٧٠٨ تاجيك ٥١,٠٦٩

الأوزبك ١٣,٣٧٠ التتار ٥,٠٦٤

ومجموع عدد أفراد هذه القوميات الإسلامية الست: ١٢,٠٨٦,٧٥٧ نســـمة، وهم يمثلون أكثر من نصف عدد المســـلمين في الصين الذيـــن يقدر عددهم بـ ٢٣,٣٥٧,٦٥٧ نســـمة، والمعروف أن الصين تعترف بعشر قوميات عرقية مسلمة وأفرادها هم المسلمون في الصين مع أن هناك مســـلمين من عرقيات صينية (هان) والتبت والمانشور، ولكن لا يشملهم التعداد أو التصنيف.

والمســـلمون في شينجيانغ (تركســـتان) وهم أكثر من نصف مســـلمي الصين حسب التعداد الرســـمي، فإن حكومة الصين الشـــعبية تميزهم في الحقوق والحريات ، فما يتمتع به المسلمون الصينيون (الخوي) في الصين يحرم منه المســـلمون في تركستان ، وهو أمر أكدته الدراســـات العلمية التي قامت بها مؤسسات عالمية وباحثون أكاديميون ومن ذلك :

• نشـــرت الدكتورة أريانا شـــوري بحثًا بعنـــوان (الخويو الاويغور : مقارنة في العلاقات مع حكومة الصين)، في ربيع عام ٢٠١٣م.

Ariana Shorey : The Hui and the Uyghurs : A Comparison of Relations with the Chinese State,University of Washington Tacoma Digital Commons , Spring ٢٠١٣.

• نشرت اللجنة الخاصة بالصين في الكونغرس الأمريكي نتيجة جلستها الثانية للمؤتمر ١٠٨ بعنوان (ممارسة الإسلام في الصين اليوم : اختلاف الوقائع بين الأويغور والخوي وذلك في١٧ مايو ٢٠٠٤ Practicing Islam in Today's China: Differing Realities for The Uighurs and The Hui, Congressional-Executive Commission on China, 108 Congress, Second Session, May 17,2004.

• وفـــي تقرير نشـــرته وزارة العدل الأمريكيـــة أثبتت الاضطهاد الديني الذي يمارس على الأويغور دون المسلمين الصينيين الخوي.

Treatment of the Uyghur Ethnic Group in People's Republic of China , File 2015-011997, March 2015 , Report for U>S> Department of Justice.

• مع منع تدريس الإســـلام والقرآن الكريم في مساجد تركستان بعث المسلمون الأويغور أبناءهم إلى مساجد الخوي في مقاطعات كانسو ونينغشيا ويوننان وجنغهاي حيث يتعلم أبناء المسلمين

مبادئ الإسلام والقرآن، ولكن السلطات الصينية أمرت مسؤولي المساجد والمدارس بترحيل الطلاب الأويغور إلى بلادهم ومنعهم من التعلم، وقد أشار إلى ذلك الدكتور ماتثو في كتابه: Matthew S. Erie China and Islam, The Prophet, the Party and Law, Oxford University Press, ٢٠١٦.

• المرأة المسلمة التي ترتاد المساجد و تصلي وتتعلم أمور دينها في مساجد المسلمين الصينيين (الخوي)، وتتزين بزيها المحتشم الإسلامي في أنحاء الصين، تمنع من هذا الحق في تركستان، كما يمنع الشباب التركستاني المسلم وأبناء الأويغور من الصلاة في المساجد و تعلم القرآن الكريم و مبادئ الدين الحنيف ليس في المسجد فحسب، بل في البيت.

والإعلانات الحكومية منتشرة في مداخل المساجد والشوارع في تركستان تحذر المسلمين من تعليم أبنائهم الإسلام وأدائهم الشعائر الإسلامية، بل وتمنع المسلمات اللائي يضعن الحجاب على رؤوسهن من ركوب الحافلات و ارتياد المستشفيات والمدارس والمباني العامة. وأصحاب اللحى يجبرون على الحلق، وإلا السجن لمن يعترض، ويتم تفتيش الجوالات وإذا وجدت فيها نصوص دينية يعتقل ويسجن حاملها.

وهذه الفوارق في ممارسة الحقوق والحريات الإنسانية بين المسلمين الصينيين والمسلمين الأويغور وهم يعيشون في دولة واحدة سجلتها أقلام المسلمين وغير المسلمين الذين كانت لهم زيارات مثلا لمقاطعة نينغشيا الذاتية الحكم، لقومية الخوي المسلمة، ومقاطعة شينجانغ الذاتية الحكم لقومية الأويغور (تركستان)، حتى إن بعض المراسلين الصحفيين مثل حنا بيتش نشر مقالا في التايم في عددها الصادر بتاريخ ٢٠١٦/٨/١٢ بعنوان: (إذا كانت الصين ضد الإسلام ... لماذا المسلمون الصينيون يتمتعون بممارسة عقيدتهم ؟Hanneh Beech : If China is Anti-Islam, Why are these Chinese Muslim Enjoying a Faith Revival ?Time, August 12,2014.

وعلى من يدعي تمتع المسلمين التركستانيين بالحريات الدينية أن يثبت وجود نساء وشباب في مساجد تركستان يتعلمون أمور دينهم ويحفظون القرآن الكريم، ويصلون كما يفعل إخوتهم في مساجد المسلمين الصينيين الخوي. وقد نشر معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد السابق لرابطة العالم الإسلامي في كتاب له ما شاهده في هذه البلاد الإسلامية.

وأما موضوع منع الصيام في شهر رمضان المبارك ، فقد بدأ تطبيقه في مقاطعة شينجانغ (تركستان) منذ ثلاثة أعوام وأكده معظم مراسلي وكالات الأنباء العالمية من رويترز Reuters، إلى وكالة الصحافة الفرنسية أكنسي France Agency، وأسوشتيد برسAssociated Press واستنكرتها الهيئات الإسلامية العالمية: رابطة العالم الإسلامي، المجمع الفقهي الإسلامي، الأزهر الشريف، الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين وغيرها، حتى إن أمريكا طلبت من حكومة الصين منح المسلمين في شينجانغ حرية العبادة كما جاء على لسان المتحدث الأمريكيThe Financial Express , June 29 2016،.

و أمام الضغوط الخارجية وبخاصة على إثر دخولها مع روسيا وإيران في دعم نظام الأسد اضطرت حكومة الصين أن تصدر كتابها (حرية العقيدة الدينية في شينجانغFreedom of Religious Belief in Xhnjiang , China Daily 2/5/2016. الذي تدعي فيه بالحريات الدينية التي يمارسها المسلمون في تركستان. ونشرت جريدة الفجر Dawn بتاريخ ٦/٦/ ٢٠١٦ في باكستان المجاورة لحدود شينجانغ بالصين و لها علاقات وثيقة معها، نشرت الجريدة مقالاً بعنوان: الصين تمنع رجال الحكومة والموظفين من الصيام في رمضان China restricts fasting in Ramazan for Xinjiang govt staff, minors ، ثم طلبت الصين من باكستان إرسال وفد يرى المشاهد التي صنعتها لإظهار الحرية الدينية المزعومة. وقد بعثت باكستان وفدًا برئاسة الشيخ ظهير الرحمن المدير العام لمركز أبحاث نور الإسلام شاه في وزارة الشؤون الدينية وخطيب مسجد الملك فيصل كما جاء على لسان الأستاذ نور الزمان المتحدث الرسمي لوزارة الشؤون الدينية، وجريدة الفجر التي نشرت الخبر أكدت على أن الصين تمنع منذ سنوات الموظفين المدنيين والطلاب والأطفال من الصيام لأن الحزب الشيوعي الملحد هو الذي يدير الحكم.

Pakistani delegation off to China to›observe› fasting ban in Xinjiang, Dawn, June 29 ,2016.

وهذه شهادة من باكستان حليفة الصين على ما يعانيه التركستانيون من اضطهاد ديني.

والحقيقة المؤلمة المعاصرة حاليًا أن حكومة الصين سمحت لـ١٤,٥٠٠ مسلم بالحج في عام ١٤٣٧هـ منهم فقط ٣٧٠٠ حاج من شينجانغ (تركستان) يأتون على ٢٢ رحلة جوية من أورومجي عاصمتها، والباقون من المسلمين الخوي، مع أن المسلمين في شينجانغ هم الأكثر حسب الإحصائية الصينية، وعلى هذا اضطر المسلمون من تركستان على القدوم إلى إستانبول بتركيا وعددهم أكثر من ألف شخص يلتمسون منحهم تأشيرات الحج، و لو عدلت الحكومة الصينية معهم و ساوت بينهم و بين مسلمي الخوى لما اضطر هؤلاء لتجشم هذا العناء، والمأمول أن يحقق خادم الحرمين الشريفين حفظه الله رغبتهم و يتيح لهم الحج.

علماء أعلام من الصين خدموا الإسلام والمسلمين (٣/١)

بقلم: الدكتور يونس عبد الله ما تشنغ بين الصيني

المحاضر بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

إن بقاء الإسلام، ورغبة المسلمين في الحفاظ على عقيدة الإسلام، وشريعته السمحاء في الصين راجعة إلى جهود علمائنا الأجلاء الذين نَهَلُوا العلم الصافي من مَعِينِ القرآن والسنة. وأئمتنا الأجلاء أمثال: الشيخ سعيد إلياس وانغ جينغ تشايو والشيخ محمد تواضع بانغ شيء شيانغ والشيخ محمد مكين.... إلخ، وخدمتهم من خلال ترجمة معاني القرآن الكريم، وتبسيط العقيدة والشريعة باللغة الصينية خير دليل على ذلك. يحاول الكاتب تسليط الضوء من خلال هذه المقالات على طبيعة الإسلام في أرض الصين، كاشفا أمر وضع الإسلام وطبيعة حال المسلمين، مبينا محاولتهم الحفاظ على دين الإسلام، وأداء شعائره.

وترجع أهمية هذا الموضوع إلى ظروف المسلمين الحالية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، نتيجة التنافس الإعلامي العالمي في نقل أحداث العالم الإسلامي السلبية المستمرة، الأمر الذي جعل المسلمين وخاصة العلماء والباحثين ينادون بضرورة التعاون على البر والتقوى دون الإثم والعدوان. فقد اضطرت الأمة الإسلامية نتيجة ما تواجه من انتقادات داخلية وخارجية إلى تأكيد العالم بأن الإسلام دين قائم على الوسطية، وداع إلى التعايش السلمي. وانطلاقا من هذه الخلفية تحاول هذه المقالات تقديم صورة موضوعية لوضع الإسلام والمسلمين في الصين عبر التاريخ.

ويؤمن الكاتب من خلال توصيف حالة الإسلام والمسلمين، أن صلاح المسلمين، وبقاءهم كأمة مسالمة لا رغبة لها إلا في الإصلاح،

جهود العلماء المسلمين في التاريخ الإسلامي الصيني الحديث ترجع إلى القرن التاسع عشر

والتعمير في الأرض، لا يتحقق إلا بإصلاح النفس، وعودتها إلى طاعة الله سرا وعلانية دون الانغماس في تحقيق الرغبات المادية، وإشباع المطامع الشهوانية بجمع حطام الدنيا دون الالتفات إلى حلال وحرام، وطاعة ومعصية.

إن وجود المسلمين محافظين على عقيدة الإسلام وشريعته وأن يكون لهم ثقل وتأثير في تاريخ الصين وسياسته إن دل على شيء؛ فإنما يدل على جهود العلماء الربانيين الذين استطاعوا تربية المسلمين بما وهب الله لهم من علم وهيبة حتى لا يذوبوا في المجتمع الإلحادي الكبير. وهو يدفعنا إلى معرفة جهود هؤلاء الأئمة في خدمة الإسلام والمسلمين.

أما جهود العلماء المسلمين في التاريخ الإسلامي الصيني الحديث فهي ترجع إلى القرن التاسع عشر، وابتداءً من هذا القرن بدأت عيون المسلمين في الصين تتجه إلى الأزهر بمصر، وبالفعل بفضل الله، وتوفيقه، وفد إلى الأزهر أبناء المسلمين من الصين، وعادوا إلى بلادهم علماء ربانيين، يخدمون الإسلام من خلال تربية المسلمين، وتعليمهم، وتثقيفهم. ومن هؤلاء العلماء: الشيخ ما فوتشو (١٧٩١-١٨٧٢م) لذي سافر إلى الأزهر الشريف عام ١٨٣٦م، والشيخ عبد الرحمن وانغ هاو رن (١٨٤٨-١٩١٩م) الذي سافر إلى الأزهر الشريف عام١٩٠٥م، والشيخ الإمام يعقوب وانغ جينغ تشاي ١٨٧٩-١٩٤٩م الذي سافر عام ١٩٢٢م، والشيخ محمد تواضع بانغ شي تشيان ١٩٠٢-١٩٥٨م والشيخ محمد مكين ١٩٠٦-١٩٧٨م . ولا تزال جهود هؤلاء وغيرهم باقية لدى المسلمين إلى الآن.

وتاريخ الإسلام في الصين يذكر إرسال البعثة الرسمية إلى الأزهر للدراسة عام ١٩٣٠م. وهذا التوجه إلى الأزهر ما زال مستمرا وإن تراجعت هذه الرحلة المباركة أيام الثورة الثقافية. وجهود هؤلاء العائدين كانت تتنوع من ترجمة آي القرآن ومعانيه وتفسيره، وتأليف وتصنيف كتب في العلوم الشرعية، وترجمة كتب في السيرة النبوية وغيرها. ونبدأ بسيرة أحد هؤلاء العلماء الأعلام، ثم ننشر لاحقًا سيرة شيخين آخرين كانت لهما بصمات خالدة في خدمة الإسلام والمسلمين.

وأول هؤلاء العلماء الشيخ سعيد إلياس وانغ جينغ تشاي١٨٧٩-١٩٤٩م).

يقول الأستاذ محمود شمس الدين تشانغ تشيهوا الصيني في كتابه «تاريخ الإسلام في الصين ماضيه وحاضره»: عندما ذكر سيرة الشيخ سعيد إلياس وانغ جينغ تشاي أنه: «غادر بلده مدينة تيانجينغ عام ١٨٩٥م وهو في الخامسة عشرة من عمره إلى الخارج لتحصيل العلم، ودرس على أيدي مشاهير العلماء في مساجد محافظة تونتشو ببكين، وقرية منغتسون، ومحافظة شيوانهوا، ومدينة تسانغتشو في مقاطعة خبي على التوالي، حيث درس الكتب الإسلامية باللغتين العربية والفارسية بجد واجتهاد، وكل الدروس التي يطلبها التعليم المسجدي؛ العقائد، وتفسير القرآن، والحديث، والكلام، والفقه، وتاريخ الإسلام، وغيرها. وبدأ دراسة اللغة الصينية بنفسه منذ كان في العشرين من عمره. وعند ما بلغ السادسة والعشرين من عمره أكمل دراسة كافة الدروس، وأجادها فتخرج. وفي تلك الفترة أتقن ثلاث لغات-العربية والفارسية والصينية- وألم باللغة الإنجليزية».

ومنذ سنة ١٩٠٥م أخذ الشيخ إلياس وانغ جينغ تشاي يعمل إماما في أكثر من عشرة مساجد في مقاطعة خبي، وبكين، ومقاطعة لياونينغ، ومقاطعة هيلونغجيانغ، ومقاطعة شاندونغ، ومدينة تيانجين، ومدينة تايبي في جزيرة تايوان لمدة ثلاثين سنة. وفي تلك الفترة كان الشيخ إلياس يواصل طلب العلم، وإعداد الأكفاء من الشباب المسلمين، ونشر الإسلام، وترجمة الكتب الإسلامية، وقد أصبح وقتئذ عالما معروفا للداني والقاصي. وكان عند الشيخ أمنية طال التشوق لتحقيقها منذ أيّام شبابه، وهي شد الرحال إلى البلدان الإسلامية للتعمق في دراسة العلوم الإسلامية ومشاهدة العالم الإسلامي ؛ رغم أنه قد تقدم به العمر إلى عتبة العقد الخامس. ففي سنة ١٩٢٢م توجه الشيخ بمرافقة تلميذه ما هونغ داو بدعم مالي من أقربائه وأصدقائه وأصحاب الفضل إلى مصر والتحقا بجامعة الأزهر ؛ حيث كان يستنسخ كل ما يفيد من الكتب الإسلامية والمعلومات التي كان يستخرجها من مكتبة الأزهر والمكتبة الحكومية مما لا يجدها في الصين، إلى جانب تلقي الدروس في الأزهر كل يوم. وكان الشيخ إلياس يلقي المحاضرات عن أحوال المسلمين في الصين لطلاب الأزهر ويستقبل الصحفيين ويجيب على أسئلتهم عن أحوال مسلمي الصين. لقد جمع الأمير شكيب أرسلان في كتابه «حاضر العالم الإسلامي» كلمة الشيخ إلياس وانغ جينغ تشاي في جامعة الأزهر قبل ٨٥ سنة، حيث قال الشيخ إلياس وانغ جينغ تشاي: «اسمي الصيني وانغ جينغ تشاي، واسمي الإسلامي سعيد إلياس، وعدد مسلمي الصين نحو سبعين مليونا... أما كونفوشيوس فله أتباع كثيرون في الصين، ويطلق عليهم اسم «أصحاب كونفوشيوس...».

وفي السنة الثانية بمصر ذهب الشيخ إلياس إلى مكة المكرمة؛ لأداء فريضة الحج. وبعده عاد إلى مصر ثم توجه بصحبة تلميذه ما هونغ داو إلى تركيا للقيام بجولة فيها. وفي عام ١٩٢٩م عاد إلى بلده تيانجين بإلحاح والديه في الرسائل. رغم أن جولته هذه لم تستغرق إلا عشرين شهرا؛ ولكنها كانت فرصة جميلة بالنسبة للشيخ ، فقد استفاد فيها كثيرا من العلماء ومن بحر الكتب، وعاد بعدد كبير من الكتب الإسلامية المهداة إليه من جامعة الأزهر والعلماء فيها والمؤسسات المصرية وإلى مسلمي الصين، وسُرَّ الشيخ بهذا بالغ السرور. وفضلا عن ذلك تأثر من أفكار الإصلاح المزدهرة آنذاك في العالم الإسلامي.

وبعد عودته إلى بلده مدينة تيانجين في مطلع عام ١٩٢٤م أسس بالتعاون مع العالم الشهير صالح يانغ تشونغ مينغ والشخصية المسلمة الشهيرة السيد خالد شي تسي تشو «الجامعة الصينية العربية» بمدينة تيانجين، ودرَّس فيها، كما أصدر مجلة «نور الإسلام» في سبتمبر ١٩٢٧م، وكان يضطلع بنفسه بتحريرها، وتنقيحها، وتوزيعها ثم أسس «دار الصين لتأليف وترجمة الكتب الإسلامية ببكين». وبعد نشوب حرب مقاومة عدوان اليابان انتقل إلى مقاطعة خنان حيث أسس مع السيد خالد شي تسي تشو «الجمعية الإسلامية الصينية لمقاومة عدوان اليابان وإنقاذ الوطن» عام ١٩٣٧م. عكف الشيخ سعيد الياس وانغ جينغ تشاي على ترجمة الكتب الإسلامية العربية والفارسية لأكثر من ٤٠ سنة، وأعظم إسهاماته منها ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الصينية مع الشروح والحواشي في فترة استغرقت أكثر من ٢٠ سنة. وخلالها نشر ثلاث طبعات لهذا الكتاب، فالطبعة الأولى التي نشرت في بكين عام ١٩٣٢م تمت ترجمتها باللغة الصينية الكلاسيكية، والطبعة الثانية هي باللغة الصينية العصرية التي نشرت في مدينة ينتشوان عام ١٩٤٢م، أما الطبعة الثالثة التي نشرت في شانغهاي عام ١٩٤٦م فهي منقحة على أساس الطبعة الثانية. وكان الشيخ يقوم بالترجمة في ظروف صعبة للغاية منتقلا من مكان إلى مكان آخر في أيّام نيران حرب المقاومة ضد عدوان اليابان، ولم يتوقف قطعا عن الترجمة. وإلى جانب ترجمة القرآن الكريم قام الشيخ بتأليف وترجمة «المعجم العربي الصيني» و«شرح الوقاية» و«الإسلام والنصارى» وديوان شعر روائي «كلستان» بقلم سعدي الشيرازي فحل الشعراء الفرس (١٢٠٣ - ١٢٩٢م) من اللغة الفارسية إلى الصينية، و «القاموس العصري - عربي- إنجليزي» تأليف إلياس أنطون إلياس، وترجم كتاب رحمة الله الهندي المشهور بـ «إظهار الحق» من العربية إلى الصينية.

انحدر الشيخ سعيد إلياس وانغ جينغ تشاي من عائلة فقيرة، وعاش في الحقبة التي عانت الصين فيها المحن والمصائب؛ رغم ذلك لم يتوقف يوما عن نشر الإسلام، وخدمة المسلمين، وخدمة وطنه، وعن ترجمة الكتب الإسلامية وكتابة المقالات الإسلامية. إنه عالم إسلامي بارز ومترجم عظيم وسامي الخلق وعالي الهمة، أوقف حياته لقضية الإسلام ، وقد تركت إسهاماته العظيمة أثرا كبيرا في نفوس المسلمين. توفي الشيخ سعيد إلياس وانغ جينغ تشاي بعد مرض عضال في ٢٥ مايو ١٩٤٩م بمدينة قويبانغ في مقاطعة قوانغشي أثناء رحلته إليها. ودفن في مقبرة المسلمين بضاحية مدينة قويبانغ.

في جمهورية ملاوي..
الإسلام أكثر الأديان نموًا

إعداد: عبدالله محمد بله

منقوشي ـ ملاوي

تقع جمهورية ملاوي في الجنوب الأوسط من شرقي إفريقيا، وهي دولة مغلقة. تحدها من الشمال الشرقي تنزانيا، و زامبيا من الشمال الغربي، وموزمبيق من الشرق و الجنوب والغرب. مناخها شبه استوائي، وتنزل الأمطار فيها من شهر نوفمبر حتى أبريل. تعتدل الحرارة في المناطق المرتفعة و ترتفع في المناطق المنخفضة.

وتعتبر ملاوي امتداداً للوادي المتصدع الذي شكل بحيرة ملاوي والتي تبلغ مساحتها خمس مساحة البلاد. وتنتهي بحيرة ملاوي بنهر شيري الذي ينحدر جنوبا ليصب في نهر زمبيزي الذي يخترق الساحل ليصب في المحيط الهندي. كما أنها كثيرة الجبال والهضاب و الأودية.

المساحة الكلية للبلاد ١١٨٤٨٠ كلم ٢، حيث يبلغ اليابس ٩٤٠٨٠ كلم٢ والمياه ٢٤٤٠٦ كلم٢، حيث تمثل ٢١٪ من نسبة اليابس تقريبا.

ويبلغ عدد السكان حوالي ١٥ مليون نسمة. و تعتبر كثافة السكان عالية مقارنة باليابس حيث يكون ١٥٠ نسمة للكلم المربع.

و معظم السكان من قبائل إفريقية دخلت ملاوي واستقرت فيها من موزمبيق والكنغو و جنوب إفريقيا. أهم القبائل: الياو، الشيوا، اللوموي، التمبكا والسينا. كما يسكنها بعض الآسيويين من الهند و باكستان و قليل من الأوروبيين الذين دخلوا

في فترة الاستعمار.
و أغلبية السكان مسيحيون ، حيث ينتمون للكاثوليك، والإنجليكان والبروتستانت و يمثلون ٦٥٪. أما المسلمون فهم حوالي ٣٠٪ حسب تقديرات غير رسمية. و اللادينيون و المعتقدات الأخرى يمثلون ٥٪. و يعتبر الإسلام أكثر الديانات نموًا في البلاد.

دخول العرب و الإسلام إلى ملاوي:

استوطن السكان الأصليون في ملاوي في القرن العاشر الميلادي من هجرات قبائل مختلفة، بعضهم من الساحل الشرقي لإفريقيا مثل: الياو، اللومي و السينا، وبعضهم من قبائل البانتو مثل:الشيوا، التمبكا، الأنقوني، الأنكوندي، و النياجا، وقد دخلوا من الكنغو و جنوب إفريقيا.

دخول الإسلام إلى ملاوي

دخل الإسلام إلى ملاوي بطريقة سلمية نتيجة التعامل والتواصل التجاري والثقافي مع المسلمين الذين انتشروا على طول الساحل الشرقي لإفريقيا بعد هجرتهم من الجزيرة العربية التي استمرت عبر قرون بعد البعثة النبوية الشريفة. وتركت هذه الهجرات آثارًا شاهدة على عظمة الإسلام و دوره في تنمية الشعوب و رقيها، فانتشرت المراكز التجارية و الدور العلمي ، وبناء على ذلك تغيرت ثقافة هذه الشعوب و عاداتها تبعًا للتعاليم الإسلامية.

هذا الاستقرار لم يدم طويلا حتى دخلت المنظمات الكنسية البريطانية و بسطت سيطرتها، وأخضعوا المسلمين بقوة الحديد والنار لما يريدون تحقيقه من أهداف. وبعد ذلك انكفأ المسلمون على أنفسهم، وتقطعت بهم السبل وحافظوا على بعض ما تركه لهم الأجداد من المبادئ الإسلامية، وقاطعوا المؤسسات الكنسية والمدارس حفاظًا على دينهم وعقيدة أبنائهم.

وبمرور السنين وبتواصلهم مع محيطهم الإسلامي، بدأت تدب فيهم الحياة وينفضون عن أنفسهم الغبار و تتحسن أحوالهم شيئاً فشيئًا، غير أن آثار تلك الفترات العصيبة ما زالت ظاهرة في فقرهم و جهلهم و سوء أوضاعهم.

و تظهر آثار العرب والمسلمين في الساحل الشرقي لإفريقيا من تنزانيا إلى موزمبيق، في عادات الختان، وتحريم أكل الخنزير، وعدم شرب الخمر، والتسمي بأسماء عربية. وقد تصدَّى البرتغاليون للمد الإسلامي وأعاقوا الهجرة العربية، ثم جاء الاستعمار ليعزل هذه المنطقة عن العالم الإسلامي.

وأكثر القبائل تأثرًا بالعرب والمسلمين هم قبائل: الياو ، الشيوا والأنكوندي، وقد أرسلوا أبناءهم إلى المناطق الساحلية للتعليم،وعند عودتهم قدموا الإسلام لأهاليهم فاعتنقوه. وبعد ذلك توالى إعلان سلاطين قبائل الياو إسلامهم و أولهم سلطان ماكنجيرا عام ١٨٧٠م و تبعه سلطان جلاسي وسلطان أمبندا. واتخذ هؤلاء السلاطين مستشارين وكتاباً عرباً. و توثقت العلاقات مع العرب وتواصل اعتناق رؤساء القرى للإسلام، وبدأ إنشاء المساجد و المدارس. و اتخذ كل رئيس قرية معلما يعلمهم اللغة العربية والدين الإسلامي. و أصبح الحرف العربي هو المستعمل في كتابة معاملاتهم المختلفة.

و بصورة عامة فقد انتشر الإسلام في كل أقاليم ملاوي في الوسط و الشمال والجنوب. وفرض المسلمون هيمنتهم على القبائل الأخرى وذلك لتفوقهم الحضاري ولارتباطهم بالساحل وتأثرهم بهم في العمران و العادات ومقدرتهم على القراءة والكتابة، و تفوقهم اقتصاديا لعملهم في التجارة وعسكريا لاستخدامهم السلاح الناري.

دخول الأوروبيين و المسيحية إلى ملاوي:

لقد مهد ديفيد لفنجستون لدخول المسيحية لملاوي، و ذلك بعد زيارته الاستكشافية عام ١٨٥٩م ممثلا لبريطانيا في تنافس الدول الأوروبية على إيجاد مستعمرات تابعة لها في إفريقيا. و عند زيارته لبحيرة ملاوي وجد تعامل أهل البلاد مع العرب والبرتغاليين كوسطاء في تجارة الرقيق الذي ينتهي بدوره للأوروبيين أنفسهم لتغطية الطلب المتزايد على العبيد في العالم الجديد (الأمريكتين) بعد اعتراض رجال الكنيسة على جلبهم من دول مسيحية. و عند عودته لبريطانيا حث الكنائس التنصيرية بأن تحضر إلى ملاوي وتعمل على تغيير هذا الواقع. وبالفعل جاءت الكنيسة تنشر المسيحية تحت دعاوى الحضارة الغربية و إيجاد فرص تجارية و استثمارية جديدة.

وأول كنيسة أنشئت عام ١٨٦١م في موقاميرو بالقرب من بلانتير في محافظة شيرازولو بإشراف القسيس ماكنزي ممثلا لكنيسة إنجلترا الذي تعامل بعدائية مع المواطنين، لكنهم لم يصبروا على هجمات قبيلة الياو المتكررة عليهم مما اضطرهم لنقل إرساليتهم إلى زنجبار عام ١٨٦٣م، ومن ثمَّ سقط شعارهم في تقديم المسيحية في أول محاولة لهم.

و المحاولة الثانية كانت بعد اثنتي عشرة سنة في عام ١٨٧٥م وسميت إرسالية ليفنجستونيا تبعًا (لديفيد لفنجستون)، وهي نتاج جهد مشترك لأربع كنائس مشهورة في بريطانيا. وجاءت الإرسالية في هذه المرة بخطة جديدة و هي التسامح و التعامل مع المواطنين بالحسنى وعدم التدخل في شؤونهم الخاصة وتقديم بعض الخدمات، خاصة العلاجية وكان فيهم مختصون في مجالات مختلفة وعددهم تسعة منهم: بحار، مهندس، زراعي، طبيب ، نجار، إلخ.. و ذلك للقيام بعملهم بنجاح. أنشئت هذه الكنيسة في (كيب ماكلير/ Cape Maclear) على ساحل بحيرة ملاوي في منطقة السلطان المسلم (أمبندا) و ذلك بعد

مقايضة الأرض منه بأشـــياء زهيدة، و اســـتمرت هذه الإرسالية حتى عام ١٨٨١م وبعد فشـــلها في تحقيق أهدافها تم نقلها إلى شـــمال البلاد في منطقة لفنجســـتونيا. و لم يدخل خلال هذه السنوات الست في النصرانية غير شخص واحد فقط.

وقد اشتدت المنافسة للسيطرة السياسية، والتجارية و الدينية بين الفرقاء في المنطقة. الأوروبيون من جهة و العرب و ســـلاطين البلاد من جهة أخرى. و قد أعلن هري جونســـتون ملاوي محمية بريطانية عام ١٨٩١م، واستعان بفرق عسكرية من الهند وجنوب إفريقيا و أسلحة نارية متطورة نســـبيا ، و أعلن سلاطين البلاد المقاومة المســـلحة التي لـــم يكتب لها النجـــاح و انتهت عام ١٨٩٥م بالسيطرة التامة من قبل البريطانيين. وبالتالي انقطعت صلتهم بعرب الساحل.

مع هذه الهزيمة استمر المسلمون في الالتزام بإسلامهم، وتعليم أبنائهم الإسلام، و الحفاظ على التقاليد الإسلامية.

و عندما رأى المنصرون فشـــل كنائســـهم بدأوا في فتح المدارس التي لا يسمح بالدراسة فيها إلا لمن قبل المسيحية، ولكن قاطع المســـلمون هذه المدارس، وفضلوا أن يحافظوا على دينهم حتى وإن لم يجدوا تعليما. و لم يســـمح رؤســـاء القـــرى للمنصرين بالبناء في قراهم.

و بمرور الســـنين انتقل بعض المسلمين خلســـة من قراهم إلى المؤسسات التنصيرية و تعلموا وقبلوا المسيحية. وعندما عادوا إلـــى قراهم الأصلية رجعـــوا بوضع أحســـن بعضهم معلمون وبعضهم كتبة و رؤســـاء للعمال. و في المقابل المسلمون الذين لم يتعلموا أصبحوا يعملون أعمالا هامشـــية بدخل أقل مثل: الخياطة، والطبخ، والحراسة. وهكذا أصبح الذين قبلوا المسيحية مؤثرين في قراهم واســـتمرت موجة التنصير. و ساعد في ذلك هجرة بعض النصارى لقرى المسلمين والزواج من بناتهم مما أدى إلى تنصير الزوجات و الأبناء معا.

دخول المسلمين الآسيويين إلى ملاوي:

نسبة لاســـتعمار بريطانيا للهند، كان التنقل بين المستعمرات البريطانية ميسورًا. فقد بدأت هجرات المسلمين في عام ١٩٢٨م في رفقة المســـتعمرين ، و من بعد انتشـــروا فـــي القرى والمدن للعمل في التجارة. و حيث ما يحلون ينشـــئون مسجدًا وكُتَّابا لتعليم القرآن، مما حفز المسلمين الملاويين بالالتحاق بهذه المدارس والاســـتفادة منها. ومع أن معرفة المشـــايخ في هـــذه المدارس محـــدودة، إلا أنهم حافظوا علـــى انتمائهم للإســـلام و إقامة الشعائر.

في بداية الســـتينيات جـــاءت مجموعة من الدعـــاة من الهند وباكســـتان في رفقة بعض الكينيين، مما أدى إلى توعية مجتمع المســـلمين بدينهـــم ودورهم فـــي نهضة الإســـلام. وبعد ذلك أقام هؤلاء الدعاة فروعاً لنشـــاطهم في مـــدن مختلفة لتلبية احتياجات المسلمين التعليمية و الاجتماعية المختلفة.

و قد قررت الحكومة تجميع الآسيويين في أربع مدن بدعوى المحافظة على أمنهم وهي: بلانتير، لمبي، للنقوي وزومبا عام ١٩٧٨م. و هذا أدى إلـــى هزة كبيـــرة و توقفت كثير من المـــدارس القرآنية التي أنشؤوها . وبعضهم لم يستطع البقاء في هذه المدن مما دفعهم للهجرة لبريطانيا.

وبعد هجرتهم ما زالت صلتهم وثيقة بملاوي إذ أنشؤوا منظمة خيريـــة لدعم العمل الطوعـــي في مجال التعليـــم والصحة، والإغاثة و حفر الآبار و ســـموها: صندوق ملاوي للإغاثة بالمملكة المتحدة. (Malawi Relief Fund UK).

أمـــا الذين بقوا في داخـــل ملاوي فيقومون بجهـــود كبيرة في التعليم والصحة، فقد أنشـــأوا مراكز إسلامية و كليات لتنمية المجتمع ومراكز صحية و إذاعة إســـلامية. كما أنشـــؤوا صندوقًا للزكاة (Islamic Zakaat Fund) لدفع الرسوم الدراسية للطلاب المسلمين في المدارس الثانوية و الجامعات في داخل و خارج ملاوي، اســـتفاد منه عدد كبير من أبناء المسلمين، ولكن لشدة الطلب وفقر المسلمين لا يستطيعون تلبية طلبات أكثر المتقدمين.

المسلمون بعد استقلال دولة ملاوي:

نالت ملاوي اســـتقلالها في عام ١٩٦٤م. و كان الاستقلال فتحًا على المسلمين حيث سمح لهم بالدخول إلى المدارس الحكومية التي ترعاها الكنيسة دون اشتراط تغيير هويتهم. ودخلت كثير من المطبوعات عن الإســـلام باللغة الإنجليزيـــة و العربية. وقَدِم إلى البلاد بعض المشـــايخ من الدول المجاورة و دول إسلامية أخرى لتوعية المسلمين و استنهاضهم، حيث زار لأول مرة ممثل الإفتاء من الســـعودية ملاوي عام ١٩٦٥م. وزار ملاوي ممثل منظمة المؤتمر الإســـلامي عام ١٩٧٥م. و قبل ذلك حـــدث اتصال له أثره الفاعل فـــي المحافظة على الإســـلام و هو ما قام بـــه القاضي /عبدالله الفارســـي الذي كان في زنجبار وانتقل بعدها إلى ممبســـا/كينيا بمنح فرصة لتعليم عشرين من الملاويين ، و بعد عودتهم رجعوا و هم يجيدون اللغة العربية و الكثير من العلوم الإسلامية وعلى يد هؤلاء نشأت بعض المراكز الإســـلامية لتعليم اللغة العربية والمواد الإسلامية مما حافظ على شعلة الإسلام متقدة.

و في عام ١٩٧٧م حضر خمسة من الملاويين مؤتمر حركة الشباب المســـلم بجنوب إفريقيا المنعقد في بتســـوانا، و هذا المؤتمر وفر للملاويـــين فرصـــة للاتصال بالوفـــود المختلفة و اســـتثمار ذلك لمصلحة الإسلام.

الدعوة الإسلامية المعاصرة:

في أواخر الســـبعينات انتظمت العالم الإســـلامي الكثير من

المؤتمرات التي تهتم بالتعليم في الدول الإسلامية، وكيفية التعامل مع العلوم العصرية، وتأصيل المعرفة والاهتمام بالأقليات المسلمة. و هذه المؤتمرات ألقت بظلالها الإيجابية على دولة ملاوي.

وكان الاهتمام بتعليم المسلمين قد بدأ في الخمسينيات، إذ عقد المستنيرون من الملاويين المسلمين و السلاطين كثيرًا من الاجتماعات لحل مشكلة التعليم تحت وطأة الاستعمار وسيطرة المسيحيين. وأثمرت هذه الاجتماعات عن تكوين جمعية مسلمي ملاوي عام ١٩٥٧م. وينص دستورها على أن جمعية مسلمي ملاوي هي المنظمة التي تمثل المسلمين داخليا و خارجيا.

و انبثقت من هذه المنظمة لجنة الشباب التي شاركت لأول مرة في مؤتمر شباب دول جنوب إفريقيا في بتسوانا في الاجتماع الذي مهد لخلق علاقات مع الوفود المشاركة و اتصالهم بالعالم الخارجي.

و في عام ١٩٨٠م قرروا زيارة كل من ليبيا و الكويت لحث هذه الدول المسلمة الغنية لمساعدة المسلمين في ملاوي. وأرسلت دولة الكويت وفدًا لتفقد الأحوال. و لقد هزت الحالة البائسة لأوضاع المسلمين هذا الوفد ، وكونوا لجنة لجمع التبرعات سموها (لجنة مسلمي ملاوي) وأمينها العام د. عبدالرحمن حمود السميط (رحمه الله). و فيما بعد تمت تسميتها لجنة مسلمي إفريقيا، لأن نفس أوضاع المسلمين في ملاوي تنطبق على كثير من الدول الإفريقية الأخرى. و قد بدأت لجنة مسلمي ملاوي في تنفيذ برامجها تحت مظلة جمعية مسلمي إفريقيا.

وقامت اللجنة بجهود رائدة و مقدرة وذلك بالقيام بالأنشطة والبرامج التي تنهض بالمسلمين من أوضاعهم المتردية في كثير من المجالات التي نذكر منها ما يلي:

١_ القيام ببناء كثير من المنشآت : مساجد، مراكز إسلامية، مدارس، حفر آبار.

٢- تسيير المراكز الإسلامية.

٣- بناء مركز صحي و تسييره و تقديم بعض الخدمات الصحية مثل الختان.

٤- دفع الرسوم للطلاب بالمدارس و الجامعات.

٥- إيجاد منح دراسية للطلاب بالخارج.

٦- كفالة الأيتام و فتح مراكز لإيوائهم و تعليمهم.

٧- فتح المدارس القرآنية و تدريب المعلمين و وضع المناهج.

٨- ترجمة القرآن الكريم للغة الشيشوا و الكثير من الكتيبات الإسلامية.

٩- توزيع الإغاثة، الإفطارات في رمضان والأضاحي.

١٠- التنسيق مع المنظمات المحلية في دعم بعض الأنشطة وإدارتها.

وفيما بعد نشأت بعض المنظمات المحلية وأخرى من الدول الإسلامية وجنوب إفريقيا تقوم بأنشطة مشابهة، ولكن لا يزال الطلب على هذه الخدمات متزايدًا، مع تأثر المنظمات بالظروف السياسية والاقتصادية العالمية المعقدة حالياً.

وفي السنوات الأخيرة أصبحت كل من جمعية مسلمي ملاوي ولجنة مسلمي إفريقيا يعملان بصورة مستقلة عن بعضهما البعض، و سميت لجنة مسلمي إفريقيا بالعون المباشر.

الحياة الدينية و الثقافية في ملاوي:

تنعكس الحياة الدينية و الثقافية لمسلمي ملاوي في مذاهبهم الدينية، و ممارستهم للشعائر، و الاجتماعات و اللقاءات، والوسائل ا لإعلامية التي تقوم بتوعيتهم وتغطية أنشطتهم.

فالسكان المحليون سنيون يتبعون المذهب الشافعي السائد في ساحل شرق إفريقيا. أما المسلمون الآسيويون فيتبعون المذهب الحنفي. وظهر مؤخرًا المد الشيعي في عاصمة ملاوي، و لكن الشيعة لم يجدوا تجاوبًا يذكر وسط المسلمين.

أما ممارستهم للشعائر الدينية فهي تتفاوت، وبصورة عامة فهم أكثر حضورًا في صلاة الجمعة و الأعياد و صلاة التراويح أما الالتزام بالصلوات الخمس فهو أكثر في المدن. و يلتزمون بصيام شهر رمضان حتى الصغار منهم. و بدأوا في إنشاء صناديق للزكاة في المدن، ويمكن أن تتطور هذه الجهود لعمل أكبر في المستقبل. أما الحج فقد بدأ بعضهم يحج على نفقته الخاصة. ولا توجد هيئة لتنظيم الحج و لكن ينظم بواسطة بعض الوكالات.

يحرص المسلمون على عقد ا اجتماع سنوي للرجال و آخر للنساء لمدة يومين أو ثلاثة، وتتخلل الاجتماع بعض المحاضرات، ومناقشة القضايا التي تهم المسلمين، وفي الغالب يدعون له أحد كبار مسؤولي الدولة. وهناك اجتماعات يعقدها خريجو الجامعات لنفس الغرض، و يناقشون أيضًا دورهم في دعم العمل الإسلامي. ويقرون بعض التوصيات. و في الغالب لا تجد هذه التوصيات طريقها للتنفيذ، وذلك لعدم وجود آلية للمتابعة.

وتعتبر جمعية مسلمي ملاوي هي ممثل المسلمين لدى الدولة، وتشارك في بعض اللقاءات والاجتماعات الدولية والإقليمية، كما تقوم أيضا بتنسيق بعض الأعمال و الأنشطة التي تهم المسلمين.

أما الناحية الإعلامية فتعتبر الإذاعة الإسلامية Radio Islam في المقدمة ويغطي إرسالها جميع ملاوي تقريبًا، ببرامج مختلفة في النواحي الدينية والتعليم والصحة والبيئة إلخ. كما تعرض أنشطة المسلمين وأخبارهم. و تمنحهم الإذاعة والتلفزيون القومي و الإذاعات المجتمعية الأخرى مساحة زمنية لعكس بعض أنشطتهم. و مؤخرًا ظهرت قناة تلفزيونية TV

ISLAM خاصة بالمسلمين.

الحياة الاجتماعية:

يتعرض نظام الأسرة للمسلمين في ملاوي لبعض المؤثرات السالبة التي أضعفته من تقاليد و جهل و فقر وأمراض وغيرها. فنظام الأسرة حسب التقاليد في القبائل المسلمة في ملاوي هو النظام الأمومي، حيث تتركز المسؤولية في الأسرة على الأم وأقاربها من والدها و إخوانها ، فهم المسؤولون بصورة مباشرة عن الأبناء و مستقبلهم. فإذا حصل خلاف بين الزوجين أو ضاقت ظروف الحياة بالزوج، فيترك الأبناء مع الزوجة، وهي في الغالب تعجز عن القيام بما يلزمهم من ضروريات الغذاء والعلاج والتعليم، مما يضطر الكثير منهم إلى عدم مواصلة الدراسة. علمًا بأن هناك بعض القبائل خاصة المهاجرة من جنوب إفريقيا يتبعون النظام الأبوي، حيث يعتبر الأب هو المسؤول المباشر عن الأسرة، لذا تعتبر أوضاعهم أحسن حالا.

أما تفشي الجهل كما ذكرنا لأسباب تاريخية، فله أيضا انعكاسات سالبة على أوضاع الأسرة، وذلك لجهلهم وعدم ممارستهم للكثير من أمور دينهم ، ومن بينها النظام الاجتماعي الإسلامي في الزواج و الميراث. وقلة تأهيلهم الدراسي لا تؤهلهم للمنافسة في وظائف ذات رواتب أفضل، بالإضافة إلى ذلك ليس لديهم التدريب اللازم لاستغلال مواردهم الطبيعية بصورة أحسن.

أما الفقر فهو السمة الظاهرة في ملاوي بصورة عامة. حيث تبلغ نسبته ٦٥٪، وهؤلاء دخلهم اليومي أقل من دولار تقريبًا. وفي السنوات الأخيرة قللت الحكومة من التوظيف، وأحجمت بعض الدول عن تقديم المساعدات. فصار الوضع سيئاً بالنسبة لمواطني الدولة عموماً، وللمسلمين أكثر سوءًا. و تنعكس آثار الفقر السالبة على الصحة ، و السكن و تعليم الأبناء.

بالإضافة لما ذكرنا هناك عوامل أخرى تؤثر في استقرار الأسرة وهي الهجرة خارج البلاد للعمل وعدم العودة أو إرسال مصاريف. وكذا التغيرات المناخية التي تؤثر في الإنتاج الزراعي بسبب الفيضانات أو الجفاف، و الأمراض المنتشرة بسبب التفكك الأسري و خاصة الإيدز، وما تخلفه من مرضى عاجزين عن الإنتاج، وأيتام يعتبرون عبئًا زائدًا على الأسر الفقيرة أصلا.

و يتطلب تحسين هذه الأوضاع جهودا وموارد مضاعفة من المسلمين في داخل ملاوي، إضافة إلى ما يبذله إخوانهم المسلمون خارجها حتى يتغير هذا الواقع المأساوي.

التعليم :

ذكرنا أنه في بداية دخول المسلمين وتواصلهم مع المواطنين في ملاوي، حرص المسلمون على إرسال أبنائهم للتعلم في منطقة الساحل، و بعد عودتهم شرعوا في إنشاء المساجد و الكتاتيب وأصبح الحرف العربي هو ما يكتبون به لغتهم ويستخدمونه في معاملاتهم اليومية .

وبعد دخول الأوروبيين إلى ملاوي فتحوا المدارس التنصيرية التي تركز في التدريس على الإنجيل مع استخدام الحروف اللاتينية، ولا يقبل فيها إلا المسيحيون. مما جعل المسلمين يقاطعون هذه المدارس ويعزفون عنها حفاظًا على عقيدة أبنائهم. وعندما رأى المستعمرون مقاطعة المسلمين للمدارس شرعوا بعض القوانين التي تسمح باستيعاب المسلمين وتدريس مواد أخرى مع الإنجيل. وفي عام ١٩٣٠م أنشؤوا مدرسة خاصة للمسلمين مع تدريس الإنجيل فيها، فكانت النتيجة أيضا المقاطعة. و في عام ١٩٤٦م بدأ المسلمون في بناء بعض المدارس و الإشراف عليها بأنفسهم، و قاموا بإرسال بعض أبنائهم إلى زنجبار ليتدربوا كمدرسين و بعد عودتهم يقومون بالتدريس في هذه المدارس. و لكن هذه المدارس لم تجد الدعم المالي من الحكومة و بعد نهاية فترة الاستعمار آلت بعضها للمنظمات الكنسية.

وتعتبر بداية نهضة التعليم بالنسبة للمسلمين في ملاوي في أوائل الثمانينات بعد دخول لجنة مسلمي إفريقيا وتعاونها مع جمعية مسلمي ملاوي والمنظمات الأخرى في بناء المدارس، ودفع الرسوم الدراسية، و توفير المنح الدراسية لأبناء المسلمين داخل وخارج ملاوي. وفيما بعد دخلت منظمات أخرى وأنشئت منظمات محلية، ومن أهم أنشطة المنظمات: التعليم، وإنشاء رياض الأطفال، والمدارس القرآنية، والمدارس الابتدائية والثانوية، ومراكز تحفيظ القرآن، وكليات تدريب المعلمين والمعلمات.

كما أن هناك بعض المؤسسات والمنظمات التي تقوم بتقديم المنح الدراسية في داخل وخارج ملاوي في تخصصات مختلفة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

صندوق الزكاة بملاوي الذي يكفل الطلاب والطالبات في كل من الجامعة الإسلامية في يوغندا ، وجامعات السودان، وزنجبار. ويكفل البنك الإسلامي للتنمية بعض الطلاب في تركيا وباكستان. ومن الجامعات التي تقدم المنح الدراسية: جامعة إفريقيا العالمية بالسودان ، والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وجامعة القصيم وجامعة الأزهر.

و لكن هناك كثيراً من التحديات التي تواجه التعليم نذكر منها:

١. قلة التمويل مقابل الطلب المتزايد.

٢. عدم تطوير المناهج و خاصة العربية والإسلامية لقلة الخبرة و التمويل.

٣. قلة الفرص المتاحة للإناث في العلوم الشرعية و العربية مع أنهن أكثر تجاوبا و حراكا في الأنشطة الإسلامية.

٤. فقر المسلمين و عدم مقدرة الغالبية منهم في المساهمة في تعليم أبنائهم و دفع الرسوم الدراسية و المصاريف الأخرى.
٥. إحجام الدول الإسلامية عن إنشاء مشاريع تعليمية كبرى مثل الجامعات أو الكليات الجامعية.
٦. ضعف جهود المسلمين في المطالبة بحقوقهم المشروعة من السلطات المختصة.

الناحية الاقتصادية:

تعتبر دولة ملاوي من أقل دول العالم نموا وأكثرها فقرا. وتعتمد على المساعدات الخارجية في كثير من تسيير أمورها. والناتج القومي يعتمد على الزراعة بنسبة ٣٥٪، والصناعة بنسبة ١٩٪، والخدمات بنسبة ٤٦٪. وهناك كثير من المصادر الطبيعية غير مستغلة مثل: اليورانيوم، البوكسايت، الحجر الجيري والفحم الحجري.
و تقابل ملاوي تحديات صعبة في مجالات التعليم، والصحة، وحماية البيئة وتخفيف حدة الفقر.
و للمسلمين الآسيويين دور كبير في العمل التجاري والصناعي في الدولة. و في الفترة الأخيرة دخل مستثمرون عرب من لبنان واليمن. ولمشاركة المسلمين في العمل التجاري دور إيجابي في دعم الأنشطة الإسلامية والتعليمية والإغاثية. حيث تعتمد كثير من المؤسسات التعليمية، والمنح الدراسية على ما يدفعونه من زكاة، أو ما يتبرعون به لتشييد المشاريع المختلفة من مساجد، ومدارس، وآبار مياه، ومراكز صحية إلخ. و قد قاموا أيضا بتوفير فرص عمل للمسلمين في شركاتهم أو المؤسسات الإسلامية التي يدعمونها.
أما المسلمون المحليون فبعد انقطاعهم عن العمل التجاري مع الساحل بسبب الاستعمار البريطاني ومقاطعتهم للمدارس الكنسية، فقد أصبح الخيار الوحيد لهم هو العمل أجَراء في المزارع التي أنشأها المستعمرون: الشاي، والبن والقطن. وفيما بعد تم استيعابهم في الجيش و الشرطة. وعندما ظهر التعدين في الدول المجاورة مثل: زامبيا، و زيمبابوي وجنوب إفريقيا هاجر كثيرٌ منهم للعمل في المناجم وأصبحوا نواة لمجتمعات إسلامية في هذه الدول، وبعضهم تعرض للتنصير أيضًا.
و في السنوات الأخيرة بعد تخرج الطلاب من الجامعات في الداخل والخارج تفتحت لهم آفاق جديدة و فرص عمل مرموقة في الدولة والقطاع الخاص والعمل في المحاماة والطب والهندسة وغيرها. أما الذين تخصصوا في الدراسات الإسلامية والعربية فقد وجدوا فرص عمل واسعة في ملاوي و ذلك بالعمل في المؤسسات التعليمية بمختلف مراحلها، ولكن الرواتب ضعيفة لا تلبي احتياجات أسرهم مما دفع كثيرًا منهم للهجرة و العمل في الدول المجاورة.
ومن أهم الأشياء التي يمكن بها تحسين أوضاع المسلمين الاقتصادية: الاهتمام بالتعليم ودعمه على كل المستويات، و هو أيضا عنصر فاعل لحل المشاكل الأخرى.
ويمكن أيضا إنشاء بعض المراكز الحرفية لاستيعاب الفاقد التربوي، والاهتمام بالمشاريع الصغيرة في مجال الزراعة و تربية الحيوانات لاستغلال الموارد الطبيعية المتاحة للتخفيف من حدة الفقر. هذا مع إعطاء الأولوية للنساء لما عليهن من مسؤوليات كبيرة.

الناحية السياسية :

دولة ملاوي رزحت تحت الاستعمار البريطاني منذ عام ١٨٩١م، ونالت استقلالها في عام ١٩٦٤م. و بعد الاستقلال كان نظام الحكم فيها نظام الحزب الواحد.
و في عام ١٩٩٤م تغير نظام الحكم للتعددية الحزبية، وكان أول رئيس في هذا النظام رئيس مسلم اسمه: بكيري ملوزي حكم لدورتين رئاسيتين. و إبان فترة رئاسته طور علاقات ملاوي مع بعض البلدان الإسلامية والعربية مثل: الكويت، ومصر، والسودان، وليبيا و ماليزيا مما فتح آفاقًا جديدة للتواصل مع العالم العربي والإسلامي. و قد استفادت من هذه العلاقات في مجالات متعددة مثل: الاتصالات، الطرق، الإغاثة، المنح الدراسية واستجلاب خبراء ومختصين في مجالات تنموية مختلفة.
ولملاوي سياسة موالية للغرب ، وفي السنوات الأخيرة بدأت تطور علاقاتها مع الصين التي تدعم الكثير من مشاريع التنمية ولها عدة مشاريع استثمارية. و لملاوي علاقات جيدة مع كافة دول العالم، ويكفل دستورها الحرية الدينية وحرية التعبير و حرية الانتماء و تشكيل الأحزاب. و هذا مكن الجمعيات والمنظمات الإسلامية بأن تقوم بأنشطتها الخيرية بحرية.
و للمسلمين قوة ترجيحية في الانتخابات مما جعل الأحزاب السياسية تستقطبهم ، ونالوا مواقع سياسية مختلفة كرؤساء أحزاب ووزراء و سفراء خاصة في الدول الإسلامية.
وفي الختام نرجو أن تكون هذه المعلومات حافزًا للمسلمين في أنحاء العالم للالتفات إلى هذه الدولة وأوضاع المسلمين فيها، ولا سيما أن الدعم الذي يصل إلى المسلمين قد بدأ يعطي ثماره. وندائي لمسلمي ملاوي الذين صبروا على تقلبات الدهر ومغالبة الفتن أن يوحدوا كلمتهم و يطالبوا بحقوقهم ويستفيدوا من الإمكانات العظيمة التي حباهم الله بها حتى يكونوا في القمة.

المراجع :

1_ Malawis Muslims: Historical Perspective, Edited by: David S. Bone, published by: Claim, Blantyre, Malawi, 2000.
2_The History of Islam in Malawi by: Valiant K. Mussa published by: Fattani, Blantyre, Malawi , 2005.

د. سعيد نويفع الحازمي مدير مكتب الرابطة في كوالالمبور بماليزيا:

المجتمع الماليزي ليس بدعا عن المجتمعات الإسلامية المختلفة وما يتعرض له الشباب المسلم في مختلف أنحاء العالم

حوار: توفيق نصرالله

بداية نرجو التكرم بتعريف قراء مجلة الرابطة على بطاقتكم الشخصية؟

سعيد نويفع الردادي الحازمي من مواليد مكة المكرمة ١٣٨١هـ. كانت دراستي في المرحلة الابتدائية في مدرسة تحفيظ القرآن الكريم في مكة المكرمة وكان من مدرسينا الشيخ محمد صالح الشنقيطي والمقرئ زكي الداغستاني والشيخ محمد سعد إبراهيم الذي كان مشرفا على حلقات تحفيظ القرآن الكريم. كما التحقت بحلقات القرآن الكريم بجمعية تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة والتي أسسها الشيخ محمد يوسف سيتي الباكستاني وكان لي شرف رؤيته أثناء زياراته التفقدية للحلقة في المسجد أو أثناء الحفل السنوي الذي كان يقام احتفاء بحفاظ كتاب الله. وقد أتممت بحمد الله حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ عبد الله الريحاني وهو من اليمن وكان عمري عشر سنوات. كما أتاحت لي فرصة مجاورة الحرم المكي في سنوات عمري الأولى حضور حلقات سماحة الشيخ عبد الله بن حميد والد معالي الشيخ صالح بن حميد . وكذلك الدروس الرمضانية التي كان يلقيها الشيخ

ابن عثيمين. وفي المرحلة الثانوية انتقلت إلى مدينة جدة ومن ثم جامعة الملك عبد العزيز حيث تخرجت في قسم الإعلام عام ١٤٠٥ هـ. كما حصلت على الدبلوم العالي في الدراسات الإسلامية من مصر عام ١٤٠٧هـ. وكان من أساتذتنا الشيخ أحمد حسن الباقوري والشيخ جاد الحق شيخ الأزهر الأسبق والدكتور أحمد شلبي. عملت في شركة أرامكو في العلاقات العامة والإعلام أكثر من عشرين سنة. أما دراستي العليا فكانت في ماليزيا حيث حصلت على درجتي الماجستير والدكتوراه. وكانت رسالة الماجستير حول دور الوسائل الإعلامية لرابطة العالم الإسلامي. أما الدكتوراه فكانت حول استخدام الإنترنت في توعية المسلمين.

ماذا يعني لكم تكريم رابطة العالم الإسلامي من قبل حاكم ولاية سرواك الماليزية من خلال جهود الرابطة الواضحة في خدمة الإسلام والمسلمين في ماليزيا ؟

تأتي أهمية التكريم في كونه من أكبر الولايات الماليزية مساحة. على الرغم من أن نسبة المسلمين فيها حاليا لا تتجاوز ٣٠٪ من سكانها. وأن عديداً من الدعاة والجمعيات الإسلامية من مختلف أنحاء العالم يجدون صعوبة في الدخول إلى هذه الولاية للدعوة وإلقاء الدروس لأن الغالبية غير المسلمة من السكان ترى أن نهجهم تصادمي. أما منهج الرابطة بتوجيهات ورعاية معالي الأمين العام الدكتور محمد عبد الكريم العيسى فهو منهج وسطي يراعي ثقافة الآخر ويقوم بالدعوة برفق ويسر ولذلك وجد القبول والتكريم.

متى نشأ مكتب رابطة العالم الإسلامي بماليزيا؟ وكيف كانت علاقة رابطة العالم الإسلامي بماليزيا؟

أسس المكتب في منتصف عام ١٩٧٥م. حيث أبدى رئيس الوزراء آنذاك «التون» عبد الرزاق. وهو والد رئيس الوزراء حاليا «داتوء سري» محمد نجيب. موافقته على افتتاح المكتب. وقد تعاقب على إدارة المكتب «تان سري» عبد الجليل حسن الأستاذ بجامعة ملايا. و «داتوء» محمد قاسم مفتي ولاية صباح الماليزية الأسبق. ومن ثم «داتوء» دسوقي أحمد المستشار السياسي لرئيس الوزراء الأسبق محاضير محمد. وقد استلمت إدارة المكتب منذ مطلع ٢٠٠٢م.

وعلى صغر حجم ماليزيا بالنسبة لغيرها من البلاد الإسلامية فقد مثلها ثلاثة أعضاء في المجلس التأسيسي للرابطة في آن واحد. وهم «تون» مصطفى حاكم ولاية صباح الأسبق و «التون» عبد الرحمن يعقوب حاكم ولاية سرواك الأسبق بالإضافة إلى الدكتور عبد الجليل حسن.

ما أبرز الجهود والأنشطة التي قامت بها رابطة العالم الإسلامي والهيئات التابعة لها في ماليزيا؟

بحمد الله لرابطة العالم الإسلامي نشاط ممتد منذ إنشائها مع ماليزيا. ولعل آخرها كان «مؤتمر التصدي لخطر التطرف والإرهاب» الذي عقد في كوالالمبور في نوفمبر ٢٠١٦ والذي حظي برعاية رئيس وزراء ماليزيا وتغطية إعلامية كبيرة داخل ماليزيا. وتمت الإشادة فيه بكلمة معالي الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي . مثمنين مضمون تلك الكلمة التي بينت الدور الإسلامي الكبير الذي تقوده المملكة العربية السعودية في محاربة التطرف والإرهاب. كما أن المكتب في السنوات القليلة الماضية ساهم وبتنسيق مع الأمانة العامة للرابطة في عقد مؤتمرين دوليين الأول حول فقه الأقليات والثاني حول السلام العالمي. كما أقام المكتب عدداً من الندوات سواء تحت رعاية المكتب مباشرة أو الهيئة العالمية للتعريف بنبي الرحمة أو هيئة الإعجاز العلمي. كما قام المكتب بعقد عدد دورات شرعية للدعاة الماليزيين. ويساهم المكتب في العديد من النشاطات التي تقوم بها الجهات الدعوية في ماليزيا. ويتبع المكتب عدد من الدعاة يقومون بإلقاء الدروس والمحاضرات في المساجد والمدارس. ومن النشاطات أيضا الرحلات الدعوية للسكان البدائيين الذين ما زالوا يعيشون في الغابات وليس لهم دين.

ماذا عن جهود رابطة العالم الإسلامي بشأن نشر ثقافة التسامح وتعزيز المشتركات بين العقائد والأعراق في المجتمع

الماليزي من خلال رسالتها والبرامج التي تقوم عليها؟

إن التوجيهات الحكيمة والسديدة لمعالي الأمين العام الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى أملت علينا نهجا يقوم على عدم التدخل في الخلافات السياسية والمذهبية، والعمل على التأليف بين فئات المجتمع الماليزي المختلفة، وذلك بدعوتها للمشاركة جميعا بالنشاطات التي يقوم بها مكتب الرابطة، وكذلك مشاركتهم في مناسباتهم الاجتماعية والثقافية.

ومن جهود المكتب التواصل مع وسائل الإعلام الماليزية وتوضيح القيم التي تنشدها رابطة العالم الإسلامي.

على الرغم من أن الإسلام يمثل ٦٠ ٪ من مجموع عدد سكان ماليزيا إلا أن المسلمين يعانون من ضعف المرجعية الإسلامية فكيف يمكن تقوية اللحمة بين المسلمين بعضهم بعضا وبينهم وبين مرجعيتهم الإسلامية؟

يختلف المجتمع الماليزي عن غيره من المجتمعات الإسلامية، حيث تتكون ماليزيا من ولايات عدة ومع أن كثيرا من الأمور الإدارية هي فيدرالية مركزية إلا أن الشؤون الإسلامية بقيت مستقلة، حيث تستقل كل ولاية بإدارة شؤونها الإسلامية ولكل ولاية مفتي وقضاء شرعي مستقل، كما يتبع التعليم الديني إدارة الولاية. وعلى الرغم من وجود مصلحة للشؤون الإسلامية تتبع مكتب رئيس الوزراء الماليزي إلا أن دورها تنسيقي استشاري. ودور مكتب الرابطة هو التواصل مع الجميع دون استثناء، ندعوهم لأنشطة المكتب ونلبي دعواتهم لنا. فهدف الرابطة وبتوجيه من معالي الأمين العام الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى هو البحث دائما عن القواسم المشتركة وتطويرها وتجنب كل ما يثير الخلاف، ولا يعني ذلك أن نتخلى عن ثوابتنا ومواقفنا بل نسلك طريق النصيحة ونطرق كل باب للخير.

ما مدى تأثير ما يعرف بالتغريب أو الغزو الثقافي الغربي على الروح الإسلامية بين المسلمين وخاصة فئة الشباب؟

المجتمع الماليزي ليس بدعا عن المجتمعات الإسلامية المختلفة وما يتعرض له الشباب المسلم في مختلف أنحاء العالم. ويقوم منهج الرابطة على تعزيز مفهوم الهوية الإسلامية الجامعة لدى الشباب، وذلك من خلال نشر مفاهيم العقيدة الإسلامية الصحيحة لديهم وتعزيز قيم التاريخ المشترك للأمة الإسلامية والوحدة الثقافية للمجتمعات المسلمة، ونؤكد لهم دوما على أن الهوية الثقافية الإسلامية هي هوية إنسانية منفتحة لا تعصب فيها إلى جنس أو لون أو عرق.

ما مدى التعاون والتنسيق بين الجهات الإسلامية العاملة والموجودة الآن على الساحة في ماليزيا؟

يتعاون مكتب الرابطة مع عدد من الهيئات الدعوية الرسمية

كمصلحة الشؤون الإسلامية الماليزية ومؤسسة الدعوة الماليزية ومكتب رئيس الوزراء الماليزي، والجمعيات الأهلية كالمجلس الإقليمي للدعوة الإسلامية في جنوب شرق آسيا والمحيط الهادي «رايساب» وجمعية حكمة ومركز المعلومات الإسلامي وغيرها الكثير، ومن سياسة مكتب الرابطة أن تكون نشاطاته بالاشتراك مع جمعيات محلية. كما أن المكتب على علاقة متميزة مع عدد من الجامعات الماليزية حيث أقام المكتب عدداً من المؤتمرات والندوات في رحابها.

ماذا ينقص الدعوة الآن في ماليزيا ؟ وما مدى رضاك عن الجهود الدعوية الموجودة الآن؟

تواجه الدعوة في ماليزيا العديد من التحديات . فولايتا صباح وسرواك وهما أكبر الولايات الماليزية مساحة تواجهان جهودا تنصيرية حثيثة، فولاية سرواك والتي تمتد على مساحة ١٢٤,٠٠٠ كلم مربع (تماثل مجموع مساحة ماليزيا الغربية تقريبا)، وتشكل فيها قومية الإبان النسبة الكبرى ٣٣٪ من مجموع عدد سكان الولاية وغالبيتهم من البدائيين غير المنتمين لدين معين ونصارى، ويشكل ذوو الأصل الصيني نسبة ٢٩٪ من عدد سكان الولاية، فيما يشكل المسلمون نسبة ٣٠٪ من عدد سكان الولاية حاليا، فيما تتوزع البقية على قوميات أخرى أهمها البدايو الذين يشكلون ٩٪ من عدد السكان وغالبيتهم من النصارى. ولكون غالبية سكان هذه الولاية من غير المسلمين ونسبة غير قليلة ممن ليس لهم ديانة معينة فإنها تربة خصبة لنشر دعوة الإسلام بين أبنائها، وقد انتبه النصارى لهذه الحقيقة مبكرا فأنشأت الكنيسة الكاثوليكية إرساليتها الأولى عام ١٨٤٠م وتبعتها الكنيسة الإنجليكانية عام ١٨٤٨م. ويعمل في خدمة الكنيسة الكاثوليكية بشكل متفرغ حوالي ١٠٠٠ من المنصرين و ٥٠٠٠ من المتطوعين من خلال ١٠٠٠ كنيسة تنتشر في الولاية، فيما تعتمد الكنيسة الإنجليكانية على المتطوعين والعمال غير المتفرغين ، وقد أسفرت جهودهم عن تنصير ما يزيد عن ٦٠٠,٠٠٠ شخص خلال العقود الماضية.

ولا تختلف الصورة في ولاية صباح عنها في ولاية سـرواك، والتي تبلغ مساحتها ٧٤,٥٠٠ كلم مربع. فعدد المسلمين قليل بالنسبة لمجموع عدد السـكان الكلي والذي يتوزع علـى ٣٠ قومية أهمها الكادازان والدوسون وغالبيتهم من النصارى الكاثوليك، يتبعهم الملايو المسـلمون ثـم الصينيون الذيـن يتوزعون علـى البوذية والطاوية والنصرانية. والكنيسـة الرئيسية في ولاية صباح هي الكنيسة الكاثوليكية لقربها من الفلبين، والتي يفصلها عنها بحر سـولو، وتقدم البعثـات التنصيرية في صبـاح الكثير من الخدمـات التعليمية والصحية. وتركز البعثـات التنصيرية على الولايتين كون نسـبة غير قليلة من سكان الولايتين من البدائيين الذين لا دين لهم سريعي الاسـتجابة للدعوات الدينية لأسباب عدة منها الفقر وقلة التعليم.

ونرجو أن يسـتطيع المكتب المساهمة بشـكل أكبر في الجهود الدعوية فـي هاتين الولايتين بزيـادة أعداد الدعـاة فيهما. كما نأمل أن يتم افتتاح مكتب لهيئة الإغاثة الإسـلامية العالمية في ماليزيـا حيث يوجد العديد من اللاجئين من جنسـيات مختلفة أبرزها الروهينجا، وهم بحاجة ماسة لكل مساعدة يمكن أن تقدم إليهم.

تعتبـر المملكـة العربيـة السـعودية مـن أكثـر دول العالم الإسلامي تقديما للعون والمساعدة للمسلمين في شتى أنحاء الأرض وبحكم عملك في ماليزيا هل لمست شيئا من ذلك على أرض الواقع؟

هناك العديد من صور وأمثلة ذلك الدعم في ماليزيا، وسـأكتفي بمثالين:

الأول حـين زار الملك فيصل بن عبـد العزيز رحمه الله ماليزيا عام ١٩٧٠م قدم دعما سخيا لبناء الجامع الكبير لولاية صباح الماليزية وقد تشـرفت بتقديم الوثائق المتعلقة بذلك لسمو وزير الخارجية آنذاك المغفور له بإذن الله سـعود الفيصل في زيارته لماليزيا عام ٢٠٠٣م.

والثانـي ذكر لي «التون» عبـد الرحمن يعقوب، حاكم سـرواك الأسـبق أنه حين أنشـأ جمعية بنـاء للدعوة الإسـلامية في سـرواك والتي أصبح اسمها لاحقا حكمة، بأن الأمير سلطان بن عبدالعزيز رحمه الله قدم دعما قدره خمسة ملايين ريال سعودي للجمعية، مما سـاهم بقيامها بالدعوة حيث اهتدى ما يقارب الـ ٦٥٠٠ للإسلام كنتيجة مباشرة لنشاطات الجمعية الدعوية.

ما مدى تعاون المسؤولين الماليزيين مع مكتب الرابطة؟

إن ثقة المسـؤولين الماليزيين برابطة العالم الإسلامي ثقة كبيرة، لذلك نجد كل تعاون وتقدير. وسـأضرب مثالا واحدا على ذلك حين اسـتغل أسـتاذ جامعي ينتمي لفرقة ضالـة موقعه في إحدى الجامعات الحكومية الماليزية فأصدر كتابا باسم الجامعة فيه تجن على علماء السلفية كالشيخ محمد بن عبد الوهاب وابن باز وابن عثيمين، قمت بمقابلة رئيس الجامعة مصطحبا معي ملفا يحوي تجاوزات ذلك الأسـتاذ، وكذلك فتاوى علماء الأمة في هذه الفرقة الضالة وخصوصا الفتاوى التي صدرت من علماء الأزهر الشريف في هذه الفرقة الضالـة، وكان رئيس الجامعة حينئذ من خريجي الأزهر، وبعد اطلاعـه على الأمر أصدر قراره بعدم تجديد عقد ذلك الأستاذ المتجني وسحب كتابه من التداول.

هـل لك أن تحدثنا عن ذكرياتك عن التـون عبد الرحمن يعقوب حاكم ولاية سـرواك الأسبق وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي؟

كان رحمه الله شديد التواضع، محبا، للسلف الصالح، وذكر لي بأنه كان في مجلس الملك فيصل رحمه الله ثم دخل الشـيخ ابن بـاز ولم يكن «التون» يعرفه آنذاك ولكنه رأى احتفاء الملك فيصل بالشـيخ وتقديره له، يقول «التون» إن ذلـك الموقف أثار تعجبه وخاصة تواضـع الملك فيصل وتوقيره للعلماء وعزة وشـخصية العالم الموسـوعي في ابن باز، وقد توالت لقاءات «التون» بالشيخ ابـن باز وكان مـن ثمارها أن تصححت بعـض المفاهيم الخاطئة لدى «التون» حول دعوة الشـيخ محمد بن عبد الوهاب. وقد رأيت شخصيا «التون» عبد الرحمن يعقوب يدافع عن السلفية ودعوة الشـيخ محمد بن عبد الوهاب كثيرا فـي ماليزيا، رحمهم الله جميعا.

كما أود أن أشير إلى أن التون عبد الرحمن يعقوب عندما كان وزيرا للتعليم أصدر قرارا بأن يكون الزي المدرسـي للمسلمات متوافقاً مع الشريعة الإسـلامية، وحدد الزي المدرسي لغير المسلمات بأن لا يكون فاضحا. كما يحسـب له رحمه الله بأنه حين تولى إدارة حكم سـرواك أصدر أمرا بمنع تقديم الخمور في الحفلات الرسمية، ولك أن تتخيل قوة هذا القرار في ولاية لم يكن يمثل فيها المسلمون يومها إلا ١٥٪ من عدد السكان.

هل يمكن إرساء احترام متبادل بين الإسلام والغرب؟

(رؤيـة منهجية للكاتب البلجيكي دو فـاييرا)

بقلم: د. التجاني بولعوالي

باحث وإعلامي مغربي مقيم بهولندا

هذه قـراءة ورصد لرؤية الباحـث البلجيكي (روبيرت فـان دو فاييرا) حول علاقة الإسـلام بالغرب، من خلال كتابه: (الإسلام والغرب، منذ الحملات الصليبية إلى اليوم) فـي طبعته الهولندية التي ترجمتها عن الإنجليزية (كاترين بروبلاند). صدر الكتاب عام ٢٠٠٢ م عن دار نشر هولندية، وهو في الحقيقة رؤية طموحـة، تحمل العديد من الأفكار والتفسـيرات الجديدة، يحاول من خلالها الباحـث الإجابة عن ثلاثة أسـئلة تحكم هذه العلاقة، وهي: لماذا يكره المسـلمون الغرب؟ هل يمكن إرساء احترام متبادل بين الطرفين؟ ما العمل لتحقيق ذلك؟

كيف نقرأ علاقة الإسلام بالغرب؟

كثرت في العقد الأخير المؤلفات والكتابات التي تتناول علاقة الإسلام بالغرب، إلى درجة أن المرء وهو يتصفح تلك الكتب والمقالات العلمية، ينتابه عجز عن الإلمام بمختلف التفسـيرات والمواقف والمعالجات التي انصبت على دراسـة تلك العلاقة. ليس فقط للكثرة العددية، وإنما للاختلاف اللغوي، فكيف يتسـنى للباحث أن يلـم بهذا الكم من الأدبيات؟ هل هو مدعـو إلى إتقان اللغات الأوروبية كلها حتى يطلع على حقيقة هذه العلاقة؟ أم أنه يكتفي فقط باسـتعمال اللغات المهيمنـة كالإنجليزية والفرنسـية مثلا؟ وما العمـل إزاء ما يكتب بلغات غربية ضيقـة التداول، كالهولندية والسـويدية والإيطالية وغيرها، ولم يحظ بعد بالترجمة، لا سيما إذا كانت تلك المؤلفات في غاية الأهمية، وتقدم تصورات علمية متميزة وبدائل معتبرة؟

إن تقريب حقيقة العلاقة التي تحكم الإسلام بالغرب، ومن ثم معرفة أهـم ملامح الصورة المتبادلة بين هذيـن القطبين، لا تتحقق بقراءة حفنـة من الكتب والمقالات العلمية فحسـب، كمـا يفعل بعض المثقفـين الذين يؤسسـون فهمهم لهذه العلاقـة على رأي باحث واحد أو باحثين مشـهورين، أو على ما يتلقونـه من بعض البرامج الإعلاميـة، التي تخلط بين ما هو إخبـاري وتحليلي، فتراهم ينظّرون لوجود الإسلام في الغرب، ويشرّحون العديد من القضايا، كالاندماج والحجاب والتعليم والإرهاب... وغيرها، بمبضع أيديولوجي، ومثلهم في ذلك كمثل الطبيب الجراح الذي يسـتعير سكين الجزار، ليشرح بها إنسانا مريضا! وهم يخبطون بذلك خبط عشواء، ولا يعون بأنهم من خلال تفسيراتهم الأيديولوجية ومنهجياتهم الإسقاطية، يسيئون إلى علاقة الإسلام بالغرب، أكثر مما يخدمونها أو يساهمون في تحديد حقيقتها وقيمتها.

من هذا المنطلق، لا تتم القراءة التقريبية لعلاقة الإسلام بالغرب، ثم الصورة المتبادلة فيما بينها، إلا بتضافر جملة من العناصر والشروط،

تتحدد أهمها فيما يأتي:
الشرط الأول: الاطلاع على أهم الدراسات والمقالات العلمية والأكاديمية التي ألفت أساسًا لدراسة علاقة الإسلام بالغرب، لأنها تحاول تقديم تفسيرات علمية ومنهجية، غالبا ما تكون موضوعية وحيادية، حتى إن بعض الباحثين والأكاديميين الغربيين الذين اهتموا بحقل الدراسات الإسلامية، صاروا يمثلون مرجعا تشاوريا لا يمكن الاستغناء عن توجيهاتهم وإرشاداتهم، كما هو الحال بالنسبة لـ (كونينس فيلد) بهولندا، و(جيل كيبيل) بفرنسا، و(كارين أرمسترونخ) بالولايات المتحدة الأمريكية، و(إنجمار كارلسون) بالسويد، وغيرهم.
الشرط الثاني: المتابعة المستمرة لأهم الأحداث والمستجدات اليومية التي تمت بصلة إلى قضايا المسلمين في الغرب، وكيف تم تناولها من خلال بعض وسائط الإعلام المهيمنة، كالصحافة المكتوبة، والقنوات الفضائية، وشبكات الإنترنت، وغيرها.
الشرط الثالث: المعرفة الكافية بمواقف وآراء بعض الكتاب والصحافيين المعادين للمسلمين، الذين عادة ما يعبرون عن ذلك العداء من خلال أعمدة ثابتة، يكتبونها في بعض الجرائد والمجلات الورقية والرقمية.
الشرط الرابع: المعرفة الدقيقة بأهم القوانين والمساطر الغربية الخاصة بتنظيم شؤون الأقليات الإسلامية والأجنبية في الغرب، كالتي تتعلق بالتجمع العائلي، ومنح الهوية، والتعليم الإسلامي، والمساجد، والجمعيات الثقافية، ونقل الجثث، وغيرها كثير، بالإضافة إلى القوانين التي تنظم علاقة الدول الغربية مع العالم الإسلامي.
الشرط الخامس: هذا العنصر من الأهمية القصوى بمكان، وهو يتمثل في الاستقرار الدائم أو المؤقت لمن يريد دراسة علاقة الإسلام بالغرب، والاستقرار يعني المشاهدة العينية، عن كثب، لتكوُّن وتفاعل ونشوء تلك العلاقة، والمتابعة الدائمة لمختلف القضايا اليومية التي يعيشها المهاجر المسلم في الغرب، بل وتعني كذلك، الاكتواء المباشر بلظى الهموم التي تعتري حياة المسلمين في الغرب، كالغربة، والعنصرية، والخلافات الزوجية، وصعوبة تربية الأبناء، والبطالة، وغيرها كثير. أما أن يجلس المثقف خلف شاشة الكومبيوتر في الرباط، أو القاهرة، أو دمشق، أو طهران، أو غيرها، فيشرع في التنظير لعلاقة الإسلام بالغرب، زاعمًا أنه يكتب بعلمية وموضوعية، فهذا محض افتراء! أو ضحك على الذقون! اللهم إلا إذا كان ما يكتب مجرد تجميع وتصنيف وتحليل لما ينشره المفكرون والمثقفون، سواء الغربيون، أم المسلمون المستقرون في الغرب.
وما يسترعي النظر، أنه أثناء قراءة جملة من الكتابات الغربية التي اهتمت بعلاقة الإسلام بالغرب، يبدو أن بعض فصولها وفقراتها تكاد تتطابق وتتماثل! لا سيما عندما يتعلق الأمر بالتعريف بحقيقة الإسلام والثقافة العربية والإسلامية، مما يبعث السأم في نفسية القارئ، خصوصا الذي يتمتع بمعرفة مسبقة حول الإسلام، أما بالنسبة للمتلقي الجديد، الذي غالبا ما يكون غربيا، وتكون معرفته بالإسلام محدودة، ففي تلك الإعادة إفادة!
على هذا الأساس، فالذي يهم الباحث الساعي إلى تقريب علاقة الإسلام بالغرب، هو أن يدرك الصورة التي يقدم بها الإسلام من خلال تلك الكتابات، بشكل جيد أو منقوص، بصيغة موضوعية أو مشوهة، بأمانة علمية أم بهوى أيديولوجي، ثم بعدها يبحث عما هو الجديد الذي يقدمه كل باحث أو مفكر، أي ما يضيفه من رؤى، ويطرحه من بدائل، تخدم تلك العلاقة وتنميها وتدفع بعجلتها إلى الأفضل.

ثلاثة أسئلة إشكالية تحكم علاقة الإسلام بالغرب

بعيد هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ على نيويورك وواشنطن مباشرة، شرع المثقف البلجيكي (روبيرت فان دو فايير) في تقديم رؤيته حول علاقة الإسلام بالغرب، من خلال كتابه (الإسلام والغرب، منذ الحملات الصليبية إلى اليوم)، وقد افتتحه بهذا السؤال المرعب والقوي، الذي تردد على لسان الأمريكيين عقب تلك التفجيرات: «لماذا يكرهوننا؟»، وقد انعكس صدى هذا السؤال في القارة الأوروبية كلها، لأن لا أحد هناك، كما يعتقد الكاتب، يشكك في أن تلك الضربة لم تستهدف أمريكا وحدها، وإنما هي ضد الحضارة الغربية برمتها. ص ١١ غير أن الباحث فان دو فايير سوف لن يتريث عند شجب هذا الفعل (الإرهابي!)، وإدانة منفذيه، ولوم الدين الإسلامي وثقافته، بقدر ما سوف يحضه هذا الحدث المباغت الذي هز نفسيته، على البحث بجدية في جذور العلاقة بين الإسلام والغرب، ليس فقط لفهم كنه ما يحدث، وإنما للتنقيب عن بدائل متوازنة ومعقولة للخروج من نفق هذا الصراع والتباغض، يمكن للجميع أن يساهم في صياغتها، غربا وشرقا، مسلمين ومسيحيين ويهودا، عن طريق استثمار الإمكانات التاريخية والحضارية والاقتصادية والسياسية والتواصلية والمعرفية المتوفرة.
إن قارئ كتاب (الإسلام في الغرب) يلفت انتباهه ذلك الثراء المعرفي الهائل، الذي يميزه عن العديد من الكتابات الغربية، التي تقتصر على التركيز على بعد معين أثناء التناول، كأن يكون بعدا تاريخيا أو سياسيا أو أدبيا أو تربويا أو غير ذلك، أما صاحب الكتاب؛ الأستاذ روبيرت فان دو فايير، فيجمع بين شتى الأبعاد والتوجهات والتفسيرات، ومرجع ذلك إلى التنوع الكبير في تكوينه وتجاربه وأسفاره، وغير ذلك. كما يظهر من خلال النقاط الآتية:
اختلافه المبكر مع توجه والديه اللذين كانا متشبعين بالفكر الاشتراكي الرافض للدين، خصوصًا المسيحي، في حين كان يميل هو، منذ نعومة أظفاره، إلى ما هو روحي.
رغم أنه اتخذ في صغره موقفا مشككا في أفكار والده السياسية، غير أنه سوف يهتم بالسياسة إلى جانب الاقتصاد، ليصبح في المستقبل بروفيسورا في الاقتصاد السياسي، تخصص تاريخ الأفكار الاقتصادية، وعلاقة الدول الغنية مع الدول الفقيرة.
سفره المتنوع إلى مختلف الدول، كالهند وأفغانستان وإثيوبيا وغيرها، حيث سوف يتعمق في دراسة الديانة الهندوسية، والإسلام، والدين المسيحي، خصوصا في إثيوبيا باعتبارها الدولة المسيحية القديمة التي لم يفتحها المسلمون، وبعدها سوف يُنصَّب قسيسًا في كنيسة قرب مدينة كامبردج بإنجلترا.
وقد انعكس هذا الخليط من التجارب والخبرات على صفحات هذا الكتاب، الذي يأخذ من كل فن بطرف؛ يعرفك على مختلف الديانات والعقائد، يمخُر بك في شتى النظريات الاقتصادية، يطلعك على الكثير من التيارات السياسية، يسافر بك في مجاهل التاريخ... يصنع ذلك كله من أجل غاية مثلى، يطمح إلى تحقيقها كل إنسان سوي، يروم الخير لنفسه كما لغيره، وهي الفهم الواقعي لما يحصل بين الإسلام والغرب، ثم طرح حلول مشتركة ترضي الجميع، وتمكنهم من تجاوز الصراعات والأحقاد والعداء.
وسعيا إلى تحقيق هذه الغاية السامية، يقدم ثلاثة أسئلة إشكالية عميقة، ثم يعمل على الإجابة عنها (يخصص للسؤالين الأول

والثاني فصلا لكل واحد منهما، أما السؤال الثالث فيحظى بفصلين كاملين) ، باستثمار مختلف الإمكانات التاريخية والمعرفية والتواصلية والمنهجية التي توفرت له من خلال تجاربه العلمية والروحية المتنوعة. وهذه الأسئلة الثلاثة تتحدد كالآتي:

لماذا يكرهوننا؟

هل يمكن تحقيق احترام متبادل؟

ماذا نستطيع أن نفعل؟

١- لماذا يكره المسلمون الغرب؟

قام الباحث بقراءة متسلسلة لأهم مراحل التاريخ الإسلامي، للوقوف على أهم اللحظات التي شهدت صراعا بين الحضارة الإسلامية وبين الحضارة المسيحية، الذي بدأ أول ما بدأ مباشرة عقب الظهور الفعلي للإسلام، وشروعه في دعوة الناس وحثهم على الإيمان برسالته، فكانت المناطق المتاخمة للجزيرة العربية، كبلاد الشام ومصر وغيرهما، تؤمن بالدين المسيحي، وأثناء التوسع الأول للإسلام سوف تنشب حروب بين الدولتين: الإسلامية الفتية والرومانية العريقة، ثم إنه لما سوف يزحف الفاتحون المسلمون في عهد الدولة الأموية نحو الجزيرة الأيبيرية، ستصطدم الجيوش الإسلامية بالمقاومة المسيحية الهشة، التي سوف يكون مآلها الفشل والاندحار، وهكذا يحفل التاريخ المشترك بين المسلمين والمسيحيين، قديما وحديثا، بمختلف الصراعات، كالحملات الصليبية التي بدأها المسيحيون في عهد الملك أوربان الثاني، ويعترف الكاتب بما اقترفه الصليبيون من مجازر وانتهاكات في حق المسلمين (ص ٢٠)، في حين لما استرد صلاح الدين الأيوبي القدس، حقن الدماء وضمن حرية التدين والتنقل (ص ٢١) ثم التوسع العثماني نحو شرق أوروبا، حيث بلغت الجيوش الإسلامية أسوار فيينا، فزرعت الرهبة والخوف في نفوس المسيحيين، (ص٢٢) ثم الاستعمار الغربي الإمبريالي لأغلب مناطق العالم الإسلامي، وما ترتب عن ذلك من تفتيته إلى دويلات، وتكثيف حملات التبشير في شتى أرجائه، (ص ٢٦ و٢٧)، وفي المرحلة المعاصرة، سوف يشتعل هنا وهناك فتيل مختلف الصراعات بين العالمين الإسلامي والغربي، تتحدد أغلبها في: ظهور الإخوان المسلمين منذ ١٩٢٨، وغيرها من التيارات الإسلامية، التي تدعو إلى مواجهة الغرب، ونشأة الثورة الإيرانية التي ترى في الغرب شيطانا أكبر، وصعود حركة طالبان الأفغانية، التي يرى الكاتب أنها أخطر بكثير من الشيعة، (ص ٣٠ - ٣١).

ثم يعرج الباحث على الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وهو يثبت أن الإسلام تسامح مع اليهود عبر مختلف عهود هيمنته، غير أنه بمجيء الصهاينة إلى أرض فلسطين، انقلب ذلك التسامح إلى كراهية، يقول الباحث: «بمجيء الصهيونية بحلول القرن العشرين، التي نشأت وفق التأويل الغربي للدين اليهودي، ودعمت برؤوس الأموال والأسلحة الغربية، تغير التسامح إلى كراهية، والاحترام إلى الاحتقار. وحتى بداية القرن الواحد والعشرين شكلت الصهيونية الهدف الرئيس للكراهية الإسلامية للغرب». (ص ٣٣). ومع أن الباحث يؤكد المؤامرة الغربية على اغتصاب فلسطين بالقوة، ومنحها للصهاينة على طبق من ذهب، إلا أننا نستشعر من تفسيراته أن هذا لا ينبغي أن يكون ذريعة أساسية لتبرير كره الإسلاميين للغرب، وهذا ما سوف يكشف عنه عندما يحاول استثمار ما سبق أن استخرجه من التاريخ الإسلامي، من معطيات وأحداث تشهد على الصراع بين المسلمين والمسيحيين/الغربيين.

إن الباحث روبيرت فان دو فايير يرى أن الصراع المعاصر بين الإسلام والغرب، لا يمكن استيعابه إلا على أساس الصراع القائم في الشرق الأوسط بين الفلسطينيين والصهاينة، ولعله يعد من المثقفين الغربيين القلائل الذين يدركون خطورة هذا الصراع وتأثيره على العلاقة بين الإسلام والغرب، فما أكثر الكتاب الغربيين الذين يسعون إلى فهم ظاهرة عداء بعض المسلمين للغرب، إلا أنهم يغيبون عاملا جوهريا من عوامل تلك الظاهرة، وهو الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين، المدعوم من قبل الأنظمة الأوروبية والغربية، التي يستقر على ترابها ملايين المسلمين.

ورغم وعي الباحث بهذا الجانب، إلا أنه في محاولة فهمه لصراع الإسلام والغرب عامة، وكراهية الإسلاميين لما هو غربي خاصة، سوف يسقط في بعض التفسيرات التي تبدو في البداية واقعية، إلا أنها سرعان ما تنم عن انحياز الكاتب إلى كفة الغرب وإسرائيل، وإن سبق له أن وصف بالتدقيق في تاريخ استيلاء الصهاينة وسطوهم على أرض فلسطين، تحت التغطية البريطانية، والدعم المسيحي الغربي، حتى إن رئيس الحركة الإنجليكية المسيحية بإنجلترا اعتبر عودة اليهود إلى فلسطين تنفيذا للتوقعات الموجودة في كتابهم المقدس (العهد الجديد)، ويعد بذلك أول مسيحي، على الصعيد البريطاني والأمريكي، يقدم دعمه للحركة الصهيونية. (ص ٣٤ و٣٥). ويرتكز فهم الباحث لظاهرة كراهية المسلمين للغرب على التفسيرات الآتية:

انتقام المسلمين من الغرب: إن الغرب قد أفلح في إخراج المسلمين من أوروبا المسيحية غربا من الجزيرة الأيبيرية، وشرقا من أوروبا الشرقية، وتفكيك دولهم الكبيرة، فتراجع دور المسلمين الاقتصادي والثقافي في أوروبا، مما يعتبر مشكلا مصيريا لدى المسلمين، الذين يريدون الانتقام من الغرب.

حسد المسلمين: وكما يرى الباحث فإن الدول الإسلامية عقب استقلالها ، صارت حاجتها ماسة إلى سلع الغرب واستثماراته ووسائل إعلامه، مما يحمل المسلمين دومًا على التفكير في عجزهم وتبعيتهم للغرب، لذلك فإنهم عندما يشاهدون ويتمتعون بالأفلام الهوليودية، يتملكهم الحسد على أسلوب الحياة الأمريكية، فيبغضون عدم استطاعتهم بلوغ هذا المستوى من الحياة.

عقدة إسرائيل: فقوة الصهيونية تضع المسلمين في مفترق الطرق، إذ تشكل إسرائيل قصة نجاح اقتصادي مذهل؛ جعلت الصحراء خصبة، وأنشأت من لا شيء اقتصادا مزدهرا، وفي السنوات الأخيرة حققت وضعية عالية على مستوى التحديثات التكنولوجية، بالإضافة إلى ذلك فإنها، بمساندة من الأمريكيين، تمكنت من تكوين جيش يضاهي الجيوش العربية كلها.

إسرائيل قطعة من الغرب: إذ إنها تمكنت من الاستيلاء على أرض فلسطين بدعم من الغرب، لذلك فإن أي عربي يحس بالمعاناة نفسها التي يعانيها الفلسطينيون، ويرى أن فلسطين بالنسبة إليه تعتبر قضية في غاية الأهمية، حتى إن كراهيتهم للصهيونية هي أيضا تجسيد للمشاعر العربية تجاه العالم الغربي وأمريكا.

الدعم المسيحي لإسرائيل: يرى الكاتب أن دولة إسرائيل تأسست على أساس ديني محض، وتسعى إلى الحفاظ على المكون الديني، مما يجعلها تتلقى الدعم المادي ليس من اليهود المستقرين في الغرب فحسب، وإنما كذلك من العديد من المسيحيين، وعلى هذا الأساس،

فإن وجود إسرائيل بهذه الكيفية تجعل العرب يفكرون أكثر في الانتقام منها.

من مقاومة الأنظمة إلى مواجهة الغرب: يستخلص الباحث أنه أثناء القرن العشرين كانت مقاومة الإسلاميين موجهة ضد أنظمة وحكومات الدول الإسلامية، التي كانت متأثرة جدا بالأفكار الغربية، غير أنه مع بداية القرن الواحد والعشرين، تحول اتجاه المقاومة، فأصبحت ضد الينابيع التي تنطلق منها تلك الأفكار، ألا وهي الغرب. هكذا فإن جزءا عظيما من شرائح المجتمع الغربي موجهة بمثل هذه التفسيرات لمسألة كراهية المسلمين للغرب، التي أغلبها تنبني على مغالطات واقعية وتاريخية، فعوض ما ينقب الباحث أكثر في الأسباب الواقعية المعيشة، التي تنتج مثل هذا السلوك، فإنه يكتفي بمزيج من الأفكار التي تتردد يوميا على ألسنة بعض السياسيين الغربيين المتطرفين، وتنشر دوما في العديد من الجرائد الأيديولوجية الصفراء.

إن الباحث يميط اللثام منذ البداية عن أنه رجل علم ومنهج، مما يطمئن القارئ أكثر، ويجعله يستمر في قراءة هذا العمل، إلا أن تلك الموضوعية العلمية التي يدعيها لا تخلو من الأحكام الذاتية المجحفة، وقد تجلى ذلك بكثافة في هذا المبحث الذي خصصه لتفسير ظاهرة كره المسلمين للغرب، ومثل هذا الخطاب حاضر باستمرار لدى العديد من الدارسين والمفكرين الغربيين، الذين يدعون العلمية والحياد في تناول علاقة الإسلام بالغرب، غير أنهم سرعان ما يميلون إلى كفة ما هو غربي أو مسيحي أو يهودي، كما سبق وأن رأينا مع صاحب كتاب (دليل حول الإسلام)، المفكر الأمريكي جيمس أ. بيفيرلي، الذي لا يختلف عنه الباحث البلجيكي روبيرت فان دو فاير في فهم أسباب العداء الإسلامي للغرب، فكلاهما يلتقيان حول فكرتي؛ أن المسلمين ينتقمون من أمريكا والغرب، نظرا إلى دعمهم لإسرائيل، وأن المسلمين يحسدون أمريكا على رفاهيتها وتقدمها!

لقد طرح الكاتب سؤاله الأول: لماذا يكره المسلمون الغرب؟ ثم سعى حثيثا إلى إيجاد تفسير مقنع ومعقول له، ترى هل نجح في مهمته هذه؟ هل تمكن من استيعاب الأسباب التي تقف وراء نشوء هذه الظاهرة السلوكية العدائية؟

في اعتقادي، أن الباحث فشل! وفشله في تناول تاريخ الصراع الإسلامي مع المسيحية والغرب، لا يكمن في ذلك التناول ذاته، وإنما يكمن في طبيعة السؤال الذي طرحه منذ البداية، وهو سؤال جائر، لا يحتاج إلى تفسير، ومع أنه يتركب من ثلاث كلمات، إلا أنها توحي بالكثير من المعاني المسيئة للآخر، الذي هو الإسلام، لماذا لم يقلب صيغة ذلك السؤال، فيقول: لماذا يكره الغربيون أو المسيحيون الإسلام؟ لا سيما وأن الشواهد التاريخية والواقعية التي ساقها الباحث، تظل شاهدة على كره (ليس الكل وإنما العديد من) المسيحيين والغربيين للإسلام؛ بدءًا من الحملة الصليبية، وذبح المسلمين الأبرياء، حتى أصبحت جدران المسجد الأقصى مخضبة بالدماء، بل إن الصليبيين، كما ينقل المؤرخ الانويم، يمشون في الدم حتى عراقيب أرجلهم، وإن أكوام الرؤوس والأيدي، كما يصف مؤرخ آخر، ترى من بعيد في الساحات والشوارع! أليس البابا أوربان الثاني Urban II سنة ١٠٩٥! من اضطهد ونكل بالمسلمين واليهود في الأندلس، أليس المسيحيون الأوروبيون! من استعمر العالم الإسلامي وفتته إلى دويلات قبلية، أليست الإمبريالية الغربية! من سرق أرض فلسطين، وقدمها إلى الصهاينة على طبق من ذهب، أليست الإمبراطورية البريطانية بدعم من الغرب المسيحي! وغير ذلك من الشواهد التي لا يتسع مجال هذا المبحث لتناولها. وفي الأخير يتساءل الأستاذ فان دو فاير بثقة تامة: لماذا يكرهوننا؟!

٢- هل يمكن تحقيق احترام متبادل بين الإسلام والغرب؟

خصص الباحث الفصل الثاني كله للإجابة عن هذا السؤال، ويستنجد بالتاريخ المشترك بين الحضارتين المسيحية والإسلام، وهو ينقب عن اللحظات التي شهدت ما يسميه «الانسجام» بين الإسلام والغرب، فيقوم بوقفات متأنية وعميقة عند أهم تلك اللحظات، أو بالأحرى التجليات التي قد تسعفنا في بناء علاقة إيجابية ومتناغمة بين هذين القطبين، غير أنه لم يتساءل حول ما إذا كان الغرب مهيأ لأن ينظر إلى الخلف، ويستلهم ذلك التاريخ العلمي والإنساني المشرق الذي جمع بين ما هو مسيحي وإسلامي ليس عبر عقود معدودات، وإنما عبر قرون ممتدة ومترامية، ولاسيما أن مختلف المواقف الغربية تنعت المسلمين بالرجعية والماضوية، وأنهم سجناء لماضيهم الغابر، وتراثهم العتيد، مما يعرقل أي حركة لهم على درب التقدم والحداثة. والطامة العظمى، أن العديد من المفكرين المسلمين المعاصرين الليبراليين واليساريين تبنوا هذا الطرح، وراحوا منذ أكثر من ثلاثة عقود ينظرون له، مسقطين إياه على المجال التداولي الإسلامي، فكانت النتيجة أن حدثت جعجعة مدوية بلا طحين!

أعود وأقول، إن دراسة التاريخ المشترك بين الإسلام والغرب أمر عظيم، لتحقيق استيعاب وفهم متبادل بين الطرفين، وهذا ما حاول الباحث روبيرت فان دو فاير القيام به، عندما تريث عند أهم لحظات التعايش والانسجام بين المسلمين والمسيحيين، وهي تتحدد كالآتي:

الأصول المشتركة بين المسيحية والإسلام: إذ يقر أهمية الدين المسيحي في حركة محمد صلى الله عليه وسلم الدينية، وهو يستشهد بحادثة تاريخية مشهورة وقعت للرسول صلى الله عليه وسلم، عندما كان مع عمه أبي طالب في قافلة تجارية متوجهة إلى الشام، رآه راهب مسيحي يدعى بحيرا، وتكلم معه فلاحظ أن الطفل يتحدث بحكمة، فتوقع بأنه النبي المنتظر، ثم إنه بعد أن تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها، تحكي هذه القصة لعمها ورقة بن نوفل الذي كان مسيحيا عارفا بخبايا الدين المسيحي، فيثبت لها حقيقة ما كان قد قاله ذلك الراهب المسيحي منذ زمن طويل. هكذا يخلص الباحث إلى أهمية المكون المسيحي في ظهور الإسلام. (ص ٤١ و٤٢).

مكانة المسيح المرموقة في القرآن: حيث ذكرت معجزات المسيح عليه الصلاة والسلام، كما اعتبره القرآن الكريم من أعظم الأنبياء، منكرا ألوهيته، على أن الرسل كلهم مجرد أشخاص عاديين اختارهم الله تعالى من بين البشر، ثم إن القرآن الكريم يفند حادثة قتل المسيح وصلبه، وأنه افتدى بنفسه ودمه مقابل خطايا الإنسانية! (ص ٤٢ و٤٣).

الموقف الإيجابي لملك الحبشة المسيحي: يعرج الباحث على حدث تاريخي من الأهمية القصوى بمكان، وهو أنه في البدايات المبكرة لظهور الإسلام، هاجر بعض المسلمين إلى الحبشة (إثيوبيا حاليا)، فرارا من بطش القرشيين لهم والتنكيل بهم، وبحثا عن الحماية والأمان، لدى ملكها النجاشي، الذي استقبلهم باحترام وتسامح، فدعاهم إلى الحديث عن نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته في حضرة الملك والقساوسة المسيحيين، الذين تأثروا

عميقا بما روي لهم، فأعلنوا أن محمدا رسول الله. (ص ٤٣).
دور الحضارة الإسلامية في النهضة الأوروبية: بعد أن يسرد الباحث مختلف مراحل وتجليات التقدم الحضاري والعلمي الذي حققه المسلمون، يخلص إلى أنها أدت دورا رياديا ومصيريا في النهضة الأوروبية، يقول: «النهضة الأوروبية، وكل ما تمخض عنها من ازدهار، ما كان يحدث دون أن يهب نسيم الحرية من الإسلام على العالم». (ص ٤٩)، ويقول كذلك: «بغياب العمل الريادي الذي قام به العلماء والرياضيون المسلمون، كان على الثورة العلمية في أوروبا أن تنتظر طويلا». (ص٤٩).
يقينا، إن هذه الرؤية التي يطرحها الباحث من الأهمية القصوى بمكان، فهي تدعو إلى توحيد الثقافات والشعوب في بوتقة حضارة إنسانية جامعة، تكتفي بالجوانب الإيجابية، التي تخدم قضايا الإنسان، وتحترم حقوقه، وتحقق آماله، وقد تنبه إلى أهمية أن يحضر الإسلام في هذا الصرح الحضاري العالمي، وتجدر الإشارة إلى ملمح جوهري في الثقافة الإسلامية، غاب عن ذهن الباحث، وهو يتناول علاقة الإسلام بالمسيحية، ونظرته إليها، وهو أن ذلك الانسجام الذي سبق أن كان بين الطرفين، مرجعه إلى موقف الإسلام من غير المسلمين، خصوصا أهل الكتاب، فهو يمنحهم مكانة مرموقة، ليس على مستوى النصوص فحسب، وإنما كذلك على مستوى الواقع، إذ يؤمن المسلمون بالأنبياء، ويجعلون لأصحاب الأديان الحق في الاستقرار داخل الأمة الإسلامية، والحفاظ على معتقداتهم، دون إجبارهم على التخلي عن أديانهم وهوياتهم، في مقابل ذلك، نرى أن المسيحية ظلت عبر قرون طويلة، تعادي الإسلام، وترفض اعتباره دينًا سماوياً.

٣- ما العمل لتجاوز كراهية الإسلاميين للغرب؟
يقدم الباحث مختلف الحلول والبدائل الممكنة، على المستويين: السياسي والديني، وهو يحث الأنظمة الغربية، بشكل أو بآخر، على الإسهام الواعي والمباشر في التعامل الجاد والديمقراطي مع المسلمين، سواءً داخل حدودها أم خارجها، فما الجديد الذي يضيفه الباحث روبيرت فان دو فاير إلى المساعي الفكرية الداعية إلى زرع ثقافة التسامح بين الإسلام والغرب؟
أولا: على المستوى السياسي؛ من عولمة السلع ورأس المال إلى عولمة الناس والمعرفة .
يرى الباحث أنه لا يتأتى تجاوز التصادم القائم بين ما هو غربي وما هو إسلامي، على الصعيد السياسي، إلا بالمرور من عولمة السلع ورأس المال إلى عولمة الناس والمعرفة، وما يلفت النظر أن الهاجس الاقتصادي يحضر بكثافة في تفسيرات الباحث، نظرا إلى أهميته الكبيرة في تنظيم الإنسان ماديا واجتماعيا، مما يترتب عن ذلك تفكير الإنسان في بناء نجاحه الاقتصادي، عوض التلظي بنار الأزمات المادية، والسخط على المجتمع.
إن الاقتصار على عولمة السلع ورأس المال يوسع من هوة الشرخ الكائن، سواءً بين الأغنياء والفقراء، أم بين الشمال الغني والجنوب الفقير، أم بين الغرب المزدهر والشرق المتخلف! والحل الأنجع لتخطي ذلك الشرخ السحيق هو الانتقال إلى عولمة الإنسان والمعرفة، التي يمكن تحقيقها على أساس البدائل الآتية التي يقترحها الباحث، وهي: استقدام الشباب من الدول الفقيرة إلى الغرب، والسماح لهم بالدراسة والتكوين والاستفادة من تجارب الغرب، وعند عودتهم إلى بلدانهم الأصلية يوظفون تلك الخبرات في شكل مشاريع، هكذا يمكن تقديم مساعدة أكثر فعالية لتلك الدول، أفضل من تقديم إعانات الطعام لها، التي تجعلها أكثر تبعية للغرب.
مساعدة الآسيويين والأفارقة على إنشاء مقاولات ومشاريع في بلدانهم الأصلية، على أن يحمي ذلك المقاولين الشباب المبتدئين من المنافسة الخارجية الشرسة.
كما أن الشركات التي أسسها شباب درسوا وتلقوا تكويناتهم في الغرب، يسمح لها بتلقي رأس مالها من الجهات الغربية.
يبدو أن ما يطغى على هذه البدائل هو الهاجس الاقتصادي، إذ إن تضافر هذه المقترحات وحضورها كلها، تشكل منها (سيناريو) قائما بذاته، يمكن أن نطلق عليه السيناريو الاقتصادي، الذي يطرحه الباحث، أساسا لتخفيف الهوة القائمة بين الأغنياء (الغرب/ الشمال) والفقراء (الجنوب)، عن طريق تشجيع هجرة مؤقتة من الدول الفقيرة إلى العالم الغربي، التي بها قد يحقق الاقتصاد العالمي طفرة جديدة. (ص ٨٠) غير أنه لا يقف عند هذه النظرات ذات الطابع الاقتصادي المحض، وإنما يتعداها إلى بدائل أخرى، تتحدد أهمها كالآتي:
فيما يتعلق بظاهرة الإرهاب، فالعدو غير مرئي وغير محدد، ولا يملك جيشا ماديا يمكن مجابهته على الميدان، كما أن أهدافه يكتنفها الكثير من الغموض، فهو يستهدف الجميع؛ مسلمين وغير مسلمين، لذلك فأجدى وسيلة لمواجهته هي المعرفة والوعي وليس السلاح، ثم إن المأزق الذي يجد فيه اليوم الغرب نفسه، هو الذي سببه، إذ إنه باسم الحرية ساعد الإرهاب!
وحيث يعيش العديد من المسلمين في الغرب، فمن الأهمية بمكان أن يشعروا بأن نظام الدول التي يستقرون فيها، والقوانين التي ينبغي لهم أن يخضعوا لها، تتوافق والدين الذي يؤمنون به، وبمجرد ما تتحقق حرية شاملة بين مختلف الأمم، تصبح هناك مشتركات في بعض المبادئ السياسية. (ص ٨٣).
يدرك الباحث بعمق أن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، يمثل حجر عثرة في طريق الحرية، فهو يبدو غير مطمئن حول الكيفية التي يتعامل بها الغرب مع القضية الفلسطينية، إذ كيف تتساءل شعوب الشرق الأوسط وحكامها، حول ما إذا كان سعي الغرب إلى تحقيق الحرية صادقًا، في الوقت الذي يساعد فيه إسرائيل على اضطهاد الفلسطينيين! ثم إن أغلب الاقتراحات الإسرائيلية نادرا ما تتضمن المطالب الفلسطينية، ليخلص إلى أن حل هذا الصراع كان قد سبق وأن أرساه مؤسس الصهيونية، تيودور هرتزل، الذي كان يطمح إلى تأسيس فلسطين متحدة، حيث يعيش اليهود والمسلمون في حرية، سواسية أمام القانون، إلا أن الإسرائيليين المعاصرين ينظرون، لا محالة، بتشكك في العودة إلى هذه الرؤية الصهيونية الأصلية. (ص ٨٥).
ثانيا: على المستوى الديني؛ من عولمة الدين إلى عولمة الحكمة والرموز :
يعتقد الباحث أنه عوض ما نقوم بعولمة الدين وتوسيع رقعة مجتمع ديني معين، نقوم بنشر وتعميم الطقوس والرموز الدينية المشتركة بين جميع الأديان والثقافات، يقول: «إن عولمة الدين والمجتمع الديني شهدت تاريخا طويلا من العداوة، في حين أن عولمة الحكمة الدينية شهدت كذلك تاريخا طويلا لكن من التنوع. وكلما عم في العصر الحديث التواصل - الذي يقلص عولمة التعصب -توفرت الحظوظ

لعولمة روحية». (ص ١٠٠)، وقبل أن يخلص الباحث إلى هذه النتيجة، كان قد مهد إليها بحديث طويل، تهمنا منه إشارتان:

أولهما تفريقه بين صنفين من الدين: الدين الرديء أو السيئ وهو الذي يدعو إلى الشر واللا تسامح والإذلال، والدين الجيد، وهو الذي يحث على التفاؤل والتسامح والمحبة، هكذا فإن تلك الممارسات التي تحث على الصراع الديني والإرهاب والتطرف والتعصب، هي من فعل الدين الرديء، كما هو الشأن لهجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، والصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وحقيق بنا أن نذكر أن الباحث لا يلصق هذه الخاصية بالدين الإسلامي فحسب، وإنما بجميع الأديان والمعتقدات. غير أنه يمكن دحض هذه الرؤية إلى الدين، أو بالأحرى تصويبها، والقول بأنه ليس ثمة دين سيئ وآخر جيد، فكل دين كيفما كان يظل محافظا على حقيقته الثابتة، التي تبدو في عيون ذويه مطلقة وجيدة، الجودة أو الرداءة تتعلق بطبيعة فهم الدين وتأويله وتنزيله على الواقع من خلال ما هو سلوكي ومعاملاتي، ففيما يتصل بالإسلام على سبيل المثال لا الحصر، ينشأ الخلاف والتصارع بسبب طريقة استيعاب كل تيار وكل فرقة للنصوص الدينية.

ثانيهما أن الصراع بين الإسلام والمسيحية، هو في حقيقته صراع بين المتطرفين من كلا الجانبين، فالمتطرفون المسيحيون يحكمون على الإسلام بأنه بلا قيمة، على غرار ذلك، يحكم المتطرفون الإسلاميون بالحكم نفسه! مما يدفع الباحث إلى التساؤل: كيف يتأتى للتشدد في كلا الديانتين: الإسلام والمسيحية الانتصار على البدعة؟ يرى أنه لو تحققت الهيمنة للمعتدلين، لعاشت هاتان الديانتان متسامحتين، ولتمكن أتباعهما من التنقل هنا وهناك في حرية تامة. ثم يجيب عن السؤال المطروح أعلاه: الجواب بسيط، المتطرفون يريدون منظمات دينية منسجمة وضخمة، أما المبتدعون فيكتفون بما هو أصغر، كما أن المتطرفين المسلمين والمسيحيين يسعون إلى غزو كل قلب ونفس، لذلك فهم في حاجة إلى جيش من الروحيين قصد فتح العالم كله، الذي يشبه الجيش الحربي من حيث الاضطهاد، فهو يضطهد كل سلوك منحرف أو عدم الطاعة داخل المنظومة التي يندرج فيها. (ص ٩٥).

إن عولمة الحكمة والرموز هي الحل الناجع للصراع الناشب بين مختلف المعتقدات بصفة عامة، وبين الإسلام والمسيحية بصفة خاصة، وهي لا تؤتي ثمارها بمعزل عن عنصر أساس وهو الحرية الدينية، التي في نطاقها ينشأ التفاعل الروحي بين شتى الرموز والطقوس والمفاهيم الدينية، بمعنى أن هذه الحرية من شأنها أن توفر مناخا مناسبا لممارسة حرية التدين، الذي يتأسس على الاحترام المتبادل. من هذا المنطلق يظهر أن الباحث مسكون بنظرة توفيقية إلى مختلف المفاهيم والقضايا، فهو يتحدث عن الحضارة الإنسانية الجامعة، وعن الاقتصاد العالمي الموحد، والآن يطرح مفهوما جامعا وهو الدين المشترك، كما أنه يستعير رؤية المفكر الإسلامي روجيه جارودي، الذي يقول في مقدمة كتابه (الإسلام): «إن الأمر اليوم بالنسبة إلينا، بعد أن نبين كيف يمكن أن يعيش الإسلام، ويعبد الله، في مجتمعاتنا، لا في الانعزال، والحلم، بعودة إلى الماضي، بل بالنضال مع كل المؤمنين الذين يعتقدون مثلنا أن للعالم معنى، وأن العالم واحد: ضد كل صور الاستعمار، وكل وحدانيات السوق التي تقسم العالم إلى قسمين: جنوب، وشمال؛ بل ويقسمون الشمال نفسه إلى «من يملكون ومن لا يملكون»، وضد هيمنة الولايات المتحدة، وأتباعها الأوروبيين، إن الأمر يتعلق بإعادة وحدة حقيقية للعالم، يناضل فيه المسلمون والمسيحيون والبوذيون، لكي يعطوا كل إنسان مهما يكن لونه، وأصله، ودينه، كل الوسائل التي تساعده على تفتيح كل الإمكانيات التي يحملها في داخله». (الإسلام، روجي جارودي، ترجمة: وجيه أسعد، دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط٢/١٩٩٦، ص ١١ و١٢).

ثم إنه من شأن هذه الوحدة الدينية أن تزرع المحبة بين المؤمنين على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم، التي بها يتم تجاوز نفق الصراع المظلم، ويستمد الباحث هذا المعنى من نص هندوسي قديم، جاء فيه: «ليس ثمة تباين بين دين وآخر، يمكن للناس أن يدينوا بمعتقدهم حسب الشكل الذي ينشدونه، شكل معتقدهم ليس مهما، وإنما المهم هي جودة الحب الذي يكنه الدين». (ص ١٠٧).

في الحقيقة، أن هذه الدعوات إلى توحيد العالم على مبادئ التآخي والمحبة والحرية، تبدو قيمة ومعتبرة، ذات نفع غير منقطع للإنسانية، تحض على التقارب الإنساني، وتجتث جذور القطيعة والتنابذ والتناطح، غير أن الإشكال القائم بقوة هو كيف يمكن إنزال هذه الدعوات المشرقة على أرض الواقع؟ وكيف نقنع المتشددين دينيا (في كل الأديان) على قبول الآخر؛ المختلف عليه عقيدة؟ وكيف نجبرهم على أن يخضعوا نفوسهم الميتة لمعاني الدين وإشراقات الحكمة؟

جملة القول؛ بصرف النظر عن جملة من المؤاخذات الفكرية والتأويلية التي تخللت بعض أفكار المثقف البلجيكي دو فاير، يمكن اعتبار رؤيته إلى العلاقة بين الإسلام والغرب إيجابية، خصوصا وأنه يدعو إلى استحضار ذلك الانسجام التاريخي المشرق، الذي جمع بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية، في العديد من المراحل التاريخية، ثم إنه يكشف عن وعي عميق فيما يخص تعامل العالم الغربي الغني مع المسلمين والجنوب الفقير، الذي ينبغي أن يتأسس على مبدأ المساندة المادية والرمزية، لفقراء العالم، حتى ينهضوا، وينفلتوا من إسار التبعية للأغنياء، ومن ثم تتراجع ظاهرة كراهية الآخر للغرب وعدائه له.

إن الباحث يطرح الوصفات والبدائل والحل الناجع لتخطي حالة الصراع هذه، ويمكن اختزال ذلك الحل لأهميته القصوى، سواء على مستوى راهن علاقة الإسلام والغرب، أم على مستوى مستقبل هذه العلاقة، كما يأتي في (ص ١١٠ و١١١)، حيث خلص الباحث روبيرت فان دو فاير إلى أنه: لا يتم ذلك إلا بواسطة قيمة جوهرية، ورثها الغرب عن الفلسفة الإسلامية والشريعة، وهي قيمة الحرية في مستويها السياسي والديني؛ على المستوى السياسي تعني الحرية تطبيق الديمقراطية واتباع القانون، مما يترتب عن ذلك قيام اقتصاد حر يتقاسمه الأغنياء والفقراء على حد سواء، أما على المستوى الديني، فتعني الحرية ثقافة التسامح، والحماية القانونية لجميع الأديان، مما يتولد عن ذلك قيام حرية روحية تشمل جميع الأجناس والعقائد والثقافات. ومما لا شك فيه، أن هذه الحرية السياسية والدينية سوف تكلل بتحقيق السلم على صعيدين: أولهما السلم بين الناس، عندها سوف يتمتعون بالرخاء الذي تفضي إليه الحرية السياسية، والسعادة التي تنتج عن حرية التدين، هكذا سوف تتلاشى العداوات والكراهية، وثانيهما السلم بين الإنسان والكون الذي يعيش فيه، عندما يراقب الناس رخاءهم الاقتصادي، فهذا يعني أنهم يعتنون بالمحيط الذي به يتعلق ذلك الرخاء، وعندما يراقبون أنفسهم، سوف يصبحون سعداء بما ينعمه عليهم محيطهم.

توسع العلماء في تناولهم علم الاقتصاد وفلسفته، فتحدثوا عن الفكر الاقتصادي، والتنمية الاقتصادية، والمنهج الإسلامي في التنمية، والقيم والأخلاق في ذلك، وحرية التملك وأثرها في التنمية، والمبادئ العامة التي تحدد الشكل العام للفعالية الاقتصادية، والجانب الفلسفي الذي يحدد معالمه، والنظم الاقتصادية التي تكشف عن كيفية التوزيع والاستهلاك والادخار والاستثمار، والدخل القومي والأسعار وغيرها من المتغيرات الاقتصادية في واقع مادي تحكمه الفلسفة والمبادئ الإسلامية، وعن موقف الدولة من التوزيع، ومواجهة الأزمة الاقتصادية، وعن الموارد الاقتصادية كذلك، سأتناول الجانب الفكري وتطوراته عبر العصور مع بيان دور المسلمين في ذلك.

الفكر الاقتصادي

ومساهمة المسلمين فيه

د. محمد تاج العروسي

يقصد بالفكر الاقتصادي دراسة وتقصي الخطوات الارتقائية التي خطاها الإنسان للكشف عن القوانين الحاكمة للظواهر الاقتصادية، ودراسة مواقف العلماء والباحثين عن الظواهر المادية، وخاصة في عهد البدائيين والإغريق والرومان، تلتها أفكار وآراء اقتصادية متقطعة كانت تخضع للعوامل الدينية، وذلك في العصر الوسيط الذي كان معروفا بالعهد الإقطاعي في الدول الأوروبية، ثم جاءت بعدها أفكار اقتصادية متميزة بدأت مع ظهور الدول الحديثة على أنقاض العهد الإقطاعي، وحركة الإصلاح الديني والنهضة الحديثة التي كان لها أثر في تحرير الاقتصاد، وابتعاد الناس عن العصر الوسيط، وذلك من القرن السادس عشر الميلادي، ثم تطورت الأحداث التي أدت إلى ظهور المذاهب الوضعية التي تبنتها الرأسمالية والاشتراكية.

الفكر الاقتصادي في الحضارات المختلفة.

مرت الأمم عبر تاريخها الطويل بحضارات عدة منها: الحضارة في العهد البدائي، والإغريقي، والروماني، والعصور الوسطى، والعصر الحاضر، وتفصيلها كالتالي:

١. الفكر الاقتصادي في العهد القديم:

أولا البدائيون :كانت حاجات الإنسان في العصور الأولى محدودة يكتفي في إشباعها بما يتقارض مع من حوله من نتاج عمله، وبما تجود به الطبيعة عليه، ولا يبذل في سبيلها إلا قسطا يسيرا من المجهود، فقد كان يكفيه في مأكله ثمرة يقتطفها، أو شريحة فريسة يصيدها، وفي مشربه حسوة من بئر، أو جرعة من غدير، وفي ملبسه

جلد حيوان يستتر به أو ورق شجر يخصفه عليه، وفي مسكنه مغارة ينحتها من الأرض ويأوي إليها إذا جن الليل، وفي دفاعه عن نفسه أسنانه ويداه، أو غصن شجر أو حجر يتقي به عَادِيَاتِ الحيوان.

ثانيا الإغريق : يذكر علماء التاريخ أن اليونان أمة موهوبة من أنجب أمم العالم وأذكاها، وأكثرها استعدادا للعلم والأدب، ومن أخصبها أذهانا وعقولا، وقد مثلت في العالم دورا خالدا بفلسفتها وأدبها ووفرة من نبغ فيها من العلماء والحكماء والعبقريين، وكانت لديهم حضارة تغلب عليها الظواهر المادية من الإيمان بالمحسوس وعدم الاهتمام بما لا يقع تحت الحس، وقلة الدين والخشوع، وشدة الاعتداد بالحياة الدنيا والاهتمام الزائد بمنافعها ولذائذها، ومع ذلك كانت الكتابة حول معالجة المشكلات الاقتصادية محدودة وضئيلة لم تصل إلى وضع الأسس لفصل الموضوعات الاقتصادية عن غيرها من البحوث حيث تعرض لها فلاسفتهم في مؤلفاتهم المختلفة مثل أفلاطون وهو من أكبر فلاسفتهم وله مؤلفات منها : كتاب الجمهورية، وكتاب السياسة والقوانين.

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوي ص ٧٤. الحركة الاقتصادية في الإسلام وأثرها في التنمية للدكتور سعيد أبوالفتوح محمد بسيوني ص ١٤

ثالثا الرومانيون : خلف الرُّومُ اليونانَ وتفوقوا عليهم في القوة وتنظيم الدولة واتساعها وصفات الجندية، ولكنهم لم يلحقوا بهم بعدُ في العلم والفلسفة والآداب والشعر والتهذيب واللباقة والمدنية التي كانت للإغريق فيها فضلٌ وتقدمٌ على جميع الأمم المعاصرة، أما في الفكر الاقتصادي فليسوا بأحسن من اليونان، ومع قلته وضآلته، فقد كان لهم أثر في الفكر الاقتصادي اللاحق حتى اليوم، ومن الذين وضعوا الآراء الاقتصادية التي كان لها تأثير قوي الفيلسوف الروماني المشهور بـ (شيشرون ماركوس توليوس)، فقد وضع الزراعة في المقام الأول بين الأنشطة الاقتصادية، وانتقد القرض بفائدة، وشبه الفائدة بعملية القتل، أو إزهاق الأرواح، ويعود الفضل إليه في إبراز فكرة " القانون الطبيعي" أي وجود قانون ثابت خالد لا يتغير بتغير الزمان، وينطبق على الناس كافة، وقد ساد هذا الاعتقاد لدى الفيزيوكرات، والمدرسة الكلاسيكية التي ظهرت في خواتيم القرن الثامن عشر الميلادي واحتلت هذه الفكرة مكانا عليا في الفكر الاقتصادي منذ القرن الثامن عشر حتى مطلع القرن العشرين... فكان الاقتصاديون يعتقدون بوجود قانون لا دخل للبشر فيه له صفة الدوام والعمومية.

٢.الفكر الاقتصادي في حضارات العصور الوسطى

عرفت هذه الفترة بالركود الاقتصادي وسيطرة رجال الدين على النفوس، فلم تكن هناك تحليلات علمية، وإنما تطبيق مذهبي لمبادئ الدين في نطاق الثروة والمال وكانت تتميز بهيمنة الكنيسة على كافة مظاهر الحياة نتيجة احتكارها لمهنة التعليم،والتقليل من شأن السعي للحصول على الثروة، ويعبر عنه البعض " بالرهبانية العاتية " وكانت هذه الرهبانية شرا على الإنسانية والمدنية، وسببا لبقاء أوروبا دهرا من الزمن، في دياجير الجهل والخرافة والانحطاط، وظهور فكرة الثمن العادل في حق البائع والمشتري، وهي فكرة وضعها (سان توماس) مؤداها أن الثمن العادل يتحقق بتغطية نفقة الإنتاج على خلاف البعض الآخرين الذين يرون أنه يتحقق بتغطية نفقة الإنتاج مع تجاوزها بتحقيق ربح معتدل للمنتج. النظرية الاقتصادية في الإسلام تأليف فكري أحمد نعمان ص ٤٢

٣. الفكر الاقتصادي في الحضارة الإسلامية

ظهر الاقتصاد الإسلامي منذ ظهور الإسلام، ويتميز بكون مصدره القرآن والسنة، وهما مصدران أساسيان للشريعة، والاقتصاد الإسلامي جزء من الشريعة الإسلامية الشاملة لشتى فروع الحياة، وليس علما مستقلا على غرار (علم الاقتصاد السياسي)، وخير دليل على ذلك ماتراه من امتزاج البحوث الاقتصادية ببحوث الفقه، والأخلاق، والتفسير، والحديث، والأدب، والتاريخ منذ القرون الأولى حتى اليوم، وإن كان هذا العطاء يتفاوت بتفاوت العصور، فيوم أن كانت الدولة الإسلامية تعيش عصرها الذهبي واستقلالها الفكري واعتمادها على العباقرة من أبنائها في حل مشكلاتها كان هذا العطاء وفيرا، والإسهام غزيرا، ولما تفككت الدولة الإسلامية إلى دويلات وتشاغلت عن التنمية الاقتصادية بالمنازعات التي انتهت بها بالوقوع في براثن الدول الأوروبية تضاءل هذا الفكر، وغلب على الفقهاء والمفكرين التركيز على المسائل الفقهية، وأيا كان الأمر فالشيء الذي لا يختلف فيه أن العطاء الإسلامي لم ينقطع طوال هذه القرون، وإن اتصف بالغزارة في عصر، والإقلال في عصر آخر نتيجة لنهضة الدولة الإسلامية وتخلفها، فلا يخلو مؤلف فقهي من تناول الجانب الاقتصادي للمجتمع الإسلامي، إذ الفقه الإسلامي شرح لشريعة الإسلام التي تحكم مختلف جوانب الحياة، فمن الكتب التي ألفت في القرون المختلفة وتشتمل على المبادئ الاقتصادية في الإسلام إلى جانب تحدثها عن الأحكام الفقهية المختلفة.

فلو استخلصت الجوانب الاقتصادية من بين ثنايا الكتب الفقهية ودونت في أبحاث مستقلة لتوفر لدينا ما نسميه (الاقتصادي الإسلامي) بما يتضمنه من دراسات عميقة سواء في مجال الكشف عن المبادئ الاقتصادية التي جاء بها الإسلام، أو في مجال بيان حلول الإسلام لمشاكل ذلك العصر وكيفية إعمال مبادئه الاقتصادية ، وإلى جانب الدراسات الاقتصادية والإنمائية التي تضمنتها فصول ومباحث الكتب الفقهية المذكورة، فإن بعض هؤلاء الفقهاء قام بإفراد الدراسات الاقتصادية بمؤلفات خاصة بها لا تشتمل إلا عليها مثل : كتاب الخراج للإمام أبي يوسف ، وكتاب الخراج للإمام يحيى

بن آدم القرشي، وكلاهما ظهرا خلال القرن الثاني من الهجرة ، ويشتملان على فكر إنمائي متقدم، ويقدمان محاولة بشرية لأفراد الفكر الاقتصادي بالتآليف المستقلة، وفي الثلث الأول من القرن الثالث كتب عدد من المفكرين في هذا المجال ومنهم محمد بن الحسن الشيباني، فقد ألف كتابه " الاكتساب في الرزق المستطاب" والإمام أبو عبيد القاسم بن سلام ألف " كتاب الأموال " ، ويعتبر كتابه أوسع كتاب وأجمعه لكل ما يتعلق بالأموال في الدولة الإسلامية، وفي القرن الرابع صدرت كتب تتحدث بصفة أساسية عن سياسة الدولة ودورها في الحياة الاقتصادية، منها كتاب "الإحكام السلطانية أو الحسبة" للإمام الماوردي الشافعي، والأحكام السلطانية لأبي يعلى الحنبلي.

واستمرت سلسلة العطاء للفكر الاقتصادي الإسلامي إلى أن جاء القرن الرابع عشر الهجري الموافق القرن العشرين الميلادي الذي ظهرت فيه النهضة الاقتصادية الحديثة، فظهرت إسهامات جديدة للفقهاء في هذا العصر أيضا ، سواء في ميدان التنمية الاقتصادية ، أوفي الحضارة وأسباب الثروة وقيام العمران، وتحقق التنمية الاقتصادية، حيث شارك عدد من المفكرين، والفقهاء، ورجال والتاريخ في هذه الميادين بأفكارهم وأقلامهم.

والفكر الاقتصادي الإسلامي إن لم يكن له دور ملموس في أرض الواقع، وذلك لأمور خارجة لا تمت إلى واقع الفكر الاقتصادي إلا أنه خرج الآن عن سلبية الصمت، وظهر في ميادين مختلفة، حيث يدرس في الجامعات المختلفة، والمعاهد الخاصة، وعقدت مؤتمرات وندوات حول الاقتصاد الإسلامي أهمها: (المؤتمرات التي عقدها مجمع البحوث الإسلامية في الفترة ما بين عام ١٩٦٤م، إلى عام ١٩٧٧م) ونوقشت فيها عدد من البحوث التي تعالج القضايا الاقتصادية، وكان من نتائج هذه المؤتمرات إنشاء بنوك إسلامية في عدد من الدول الإسلامية، ومن المؤتمرات التي عقدت لدراسة الاقتصاد الإسلامي (المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي) المنعقد بمكة تحت إشراف جامعة الملك عبد العزيز عام ١٣٩٥ هـ ، الموافق ١٩٧٦م . شارك فيه جميع الباحثين في الاقتصاد الإسلامي من مختلف أنحاء العالم، و(المؤتمر الاقتصاد الإسلامي) المنعقد بلندن تحت إشراف المجلس الأوروبي شارك فيه كذلك علماء مسلمون ومستشرقون أجانب، وعدد من المفكرين من علماء النهضة الإسلامية الحديثة، وكانت لهم جهود طيبة في إنشاء عدد من البنوك الإسلامية، وتدريس الاقتصاد الإسلامي في الجامعات.

الفكر الاقتصادي المعاصر

تطور الفكر الاقتصادي الآن مع تطور الحضارة، وتقدم العلوم فظهرت عدد من المدارس التي لها توجهات اقتصادية منها: مدرسة الاقتصاد السياسي التي ظهرت في القرن الثامن عشر، ويقال إن أول من أطلق لفظ الاقتصاد السياسي هو " أنطوان دو منكرتيان " وذلك في عام ١٦١٥م أي في مطلع القرن السابع عشر في مؤلفه بعنوان " بحث في الاقتصاد السياسي " ، وظل اسم " الاقتصاد السياسي " يطلق على هذا العلم إلى يومنا هذا، وقد خالفه بعض الكتاب الذين جاؤوا بعده في هذه التسمية بحجة أن وصف البحث بأنه سياسي يفهم منه أحد أمرين : أنه بحث عملي تطبيقي موضوعه بيان ما ينبغي أن يكون، لا شرح ما هو كائن، وهو خلاف الواقع العلمي، والأمر الثاني : أنه بحث متعلق بالنظم السياسية للأمم، أي بتكوينها ونشأتها وشكل حكومتها، ونظام السلطات فيها، وعلاقتها بعضها ببعض، وما يتمتع به كل منها من مكانة دولية.. وهلم جرا، وهذا المعنى هو الذي تنصرف إليه في الغالب كلمة سياسي، وهو الذي قصده العلماء عندما أطلقوا على فرع من البحوث الاجتماعية اسم "علم السياسة" وهو الذي قصده أيضا "دومنكرتيان" عندما سمى كتابه باسم "الاقتصاد السياسي" ، وقد مر الفكر الاقتصادي الحديث بمراحل، وكانت البداية نشأة المدارس التجارية ثم الفيزيوكراتية، ثم الكلاسيكية، وهذه الأخيرة حققت نجاحا كبيرا، وتغلبت على جميع المدارس التي سبقتها، وذلك بسبب السلبيات التي كثرت في تلك المدارس.

والسبب الحقيقي لنشأة علم الاقتصاد السياسي، فهو النكسة الاقتصادية التي تعرض لها الغرب في القرنين السادس عشر والسابع عشر من جراء اكتشاف أمريكا، وما أعقبه من نتائج خطيرة على المستوى الاقتصادي، واكتِشَافُ الخيرات الجديدة في إسبانيا حيث أدى ذلك إلى توجه الساسة والعلماء في الدول المجاورة لها " إنجلترا وفرنسا وإيطاليا" إلى دراسة الظواهر الاقتصادية والسبل الكفيلة لمنع إسبانيا من الانفراد بهذه الخيرات، وضمان الحصول عليها تحت أي وسيلة من الوسائل، وقادهم ذلك إلى إنشاء مدرسة شهيرة في تاريخ الاقتصاد عرفت باسم " المدرسة التجارية - الكسبية" .

وذلك أن هذه الدول لما رأت ما يتدفق على إسبانيا من ذهب على أثر كشفها للدنيا الجديدة، وانفرادها باستغلال ما كان مدفونا في تربتها من هذين المعدنين النفيسين أخذت الغيرة هذه الدول وهب ساستها وعلماؤها يقدحون زناد فكرهم في البحث عن الوسائل الاقتصادية الكفيلة لاقتناص جزء من الذهب الذي حصلت عليه إسبانيا حتى تصل إلى ما وصلت إليه من الثروة والجاه، وتحول بينها وبين الاستئثار بهذه الغنيمة، وتوصل علماؤها بعد دراسات عميقة إلى نظريات مختلفة أشهرها " نظرية رجحان الميزان التجاري" التي تقرر أن أفضل طريقة للحصول على الذهب والفضة هو الإكثار من إصدار أكبر قدر من المنتجات المحلية مع التقليل من استيراد المنتجات الخارجية، وهذا من شأنه أن يساعد على الحصول على أكبر قدر من الذهب مع تسرب أقل قدر منه، وسموا " بالتجاريين أو الكسبيين " لأن فكرتهم هذه تشتمل على تشجيع التجارة الخارجية، وفيها وضع خطة محكمة لكسب المال مع الإقلال من الإنفاق.

ومن أشهر زعماء هذه المدرسة المفكر الإيطالي" أنطونيو سرا "صاحب كتاب" العوامل التي يكثر بفضلها الذهب والفضة عند الأمم المحرومة من مناجم هذين المعدنين" الذي نشر سنة ١٦١٣م، والمفكر" أنطوان دومنكرتيان " صاحب " بحث في الاقتصاد السياسي" الذي نشر سنة ١٦١٥م ، وبحوث هذه المدرسة سياسية أقرب منها إلى البحوث النظرية العلمية؛ لأن علماء هذه المدرسة لم يهتموا بالظواهر الاقتصادية لبيان حقيقتها وعناصرها، والعلاقات التي تربطها بعضها ببعض والتي تربطها بغيرها، والقوانين الخاضعة لها

في مختلف نواحيها، وإنما درسوا الوسائل التي رأوا أنها توصل أممهم إلى غاية اقتصادية كما أنهم أسسوا دراساتهم على نظرية أثبتت البحوث الحديثة فسادها، وهي النظرية التي تقرر أن ثروة الأمة تقاس بمقدار مالديها من ذهب وفضة.

والنظرية التي قامت عليها هذه المدرسة كانت سلبياتها أكثر من إيجابياتها، فهي مبنية على سياسة التوسع في حجم الصادرات عن طريق استخدام سياسة الأسعار التنافسية، ولا يمكن تحقيق هذه السياسة إلا بتخفيض تكلفة الإنتاج، ويترتب عليه تخفيض " تكلفة عنصر العمل " إلى أقل درجة ممكنة. الاقتصادي السياسي للدكتور علي عبد الواحد وافي . ص ٦٣، ٦٦

ولتحقيق هذه الغاية تَعْتَبِرُ هذه المدرَسَةُ الْبَطَالَةَ نِعْمَةً وليستْ نِقْمَة؛ لأن البطالة معناها عند التجاريين تشغيل العمال في ظل أقسى الظروف، وبأقل الأجور فضلا عن استخدام الدولة لسياسة العصا الغليظة ضد العمال إذا فكروا في المطالبة بأي مطلب إنساني، وذلك خدمة لأصحاب الأعمال، وليس حبا فيهم بل لما بينهم من التوافق في الأهداف والغايات، ورغم كثرة سلبيات هذه المدرسة فإنها تمثل وجها واضحا لأنواع الظلم الموجود في أوروبا في هذه الفترة التي عاشها الإيطالي " مكيافيللي " صاحب فكرة " المستبد العادل " التي تطلق يد الحكام للاستبداد، وهو صاحب القول المشهور " الغايات تبرر الوسائل " ويضرب به المثل في الانتهازيةكما عاش في هذا العصر أيضا " جان بودان " صاحب فكرة " الدولة فوق القانون " التي تيسر للحكام ارتكاب أفظع المظالم.

وفي منتصف القرن الثامن عشر ظهرت مدرسة أخرى بفرنسا تسمى " الفيزيوكراتيين Physiocrates أي الطبيعيين " وهي مؤلفة من كلمتين معناهما " حكومة الطبيعة " مع أنهم كانوا يسمون أنفسهم باسم " الاقتصاديين " وتضم هذه المدرسة عددا من العلماء البارزين والساسة الفرنسيين مثل " تورجو Turgat" الذي كان وزيرا للويس السادس عشر، و" المركيز دوميرابوMarquisu de Mirabeau " خطيب الثورة الفرنسية ، و"د. كسناي Quesnay" طبيب لويس الخامس عشر، ومن خصائصها ما يلي.

• العناية بدراسة الظواهر الاقتصادية دراسة وصفية تحليلية أي دراسة الظواهر ببيان حقيقتها ونشأتها وعناصرها والعلاقات التي تربطها بعضها ببعض، والتي تربطها بغيرها، والقوانين الخاضعة لها . وألفوا كتابا منها " الجدول الاقتصادي ".

• بيان أن الظواهر الاقتصادية خاضعة لقوانين لا تقل في صرامتها واطرادها عن القوانين التي تخضع لها قوانين الظواهر الطبيعة، وأن الكشف عن هذه القوانين ينبغي أن يكون الهدف الأساسي لدراسة الاقتصاد .

• اعتقادهم أن القوانين الاقتصادية قوانين حسنة تحقق رغبات بني الإنسان، وأنها من النعم التي أسبغها الله على عباده لتحقيق سعادتهم، وأن الواجب على الأفراد والحكومات أن تَدَعَهاَ حُرَّةً طَليقَةً تبرم ما تبرمه، وهذه القاعدة أصبحت أساسا لعدة مذاهب اقتصادية منها " مذهب حرية التجارة" أو " سياسة الباب المفتوح" الذي لا يزال له بإنجلترا وغيرها أنصار كثيرون .

• أنهم غضوا الطرف عن شأن الصناعة والتجارة، وذهبوا إلى أن الأرض وحدها هي التي تنتج من الثروات أكثر مما تستهلكه فهي وحدها التي تأتي" بناتج صاف " وأنه من المزارعين ومن إليهم تتكون طبقة المنتجين، وأما الصناع والتجار فطبقات عقيمة عالة على طبقة المزارعين. فهذه النظرية لم تجد قبولا في الواقع بسبب موقفها السلبي من التجارة والصناعة، وتركيزها على الزراعة فقط بينما الغرب لم يصل إلى ما وصل إليه إلا عن طريقهما، أما العالم الثالث فلم يتخلف إلا بسبب اعتماده على هذه النظرية وإهماله الصناعة والتجارة.

ثم ظهرت في منتصف القرن الثامن عشر المدرسة الكلاسيكية في الشؤون الاقتصادية ومؤسسها " آدم سميث " الاسكتلندي، فقد ألف كتابه " مبحث في طبيعة ثروة الأمم وأسبابها " وأسس بحوثه على القواعد التي وضعها " الفيزيوكراتيون" ، ولكنه خالفهم في موقفهم حيال الصناعة والتجارة، ويتميز كتابه بدقة البحث والاستنباط وتوسيع نطاق الاقتصاد السياسي بأفكاره عن القيمة، وقوانين السوق، والتجارة الدولية، ويقال إن كل من جاء بعده عالة عليه، وفي مطلع القرن التاسع عشر بزغ نجم العالم الإنجليزي " مالتوس Malthus" الذي امتاز ببحثه عن نمو السكان والموازنة بينه وبين زيادة موارد المعيشة، وقد توصل إلى النتائج التالية : أن السكان يزيدون في كل خمس وعشرين سنة، بنسبة متوالية هندسية (١، ٢، ٤، ٨، ١٦، ..) إذا لم يعق تزايدهم أي عائق خارجي في حين أن مواد المعيشة لا يمكن زيادتها في المدة نفسها إلا بنسبة متوالية حسابية (١، ٢، ٣، ٤، ٥) بشرط أن تتوفر أحسن الظروف وأكثرها ملاءمة للزراعة .

كما ظهر العالم "ريكاردو Ricardo" الذي امتاز ببحثه في الإيراد العقاري ، وظهر أيضا العلامة " جان باتيست ساي " صاحب " بحث في الاقتصاد السياسي"، وصاحب القانون الشهير " كل إنتاج يخلق الطلب عليه "، أي كلما تضاعف المنتج تضاعفت المنافذ أمامه، فكل سلعة يجري إنتاجها تقدم منفذا لسلعة أخرى مساوية لقيمتها.

وخلاصة الكلام : أن أسس الاقتصاد السياسي وضعه "الفيزيوكرات" ورفع بنيانها " سميث " و " ريكاد ومالتوس" وقام بتنقيحها وتهذيبها " جان ساي " أي إن شأن علم الاقتصاد شأن أي علم آخر لا يمكن أن يستقر على شكل نهائي، وإنما يتسع باتساع نطاق المعارف المتعلقة بظواهره ويظل قابلا للتعديل والحذف والإضافة مادام نتاج الفكر قائما .

وكما أن علماء الرياضيات والطبيعيات توصلوا إلى القوانين الثابتة التي تخضع لها الظواهر الكونية، وأنشؤوا نتيجة لذلك علوم الطبيعة والجغرافيا، والبيولوجيات، والفيزيولوجيا، والتاريخ الطبيعي، استطاع كذلك الباحثون الاقتصاديون التوَصُّلَ إلى القوانين التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية، وإنشاءَ عِلْم "السوسيولوجيا Lasociologie أي علم الاجتماع الذي قام على أَسَّاسه "الاقتصادي السياسي" ، ثم اكتشفوا القوانين التي تخضع لها الظواهر الاقتصادية المتعلقة بإنتاج الثروة وتداولها وتوزيعها واستهلاكها ووضعوا قوانين عدة لضبط الاقتصاد وإنمائه .

ندوة دولية بالمغرب تناقش قضايا

«الحوار وضرورة البناء المشترك»

د. زكرياء السرتي

باحث في اللسانيات والفكر الإسلامي-المغرب

انعقدت بمدينة سلا صباح السبت ١٧ ربيع الأول ١٤٣٨هـ الموافق ١٧ ديسمبر ٢٠١٦، الندوة الفكرية "الحوار وضرورة البناء المشترك"، وذلك بمناسبة الذكرى الرابعة لرحيل الإمام عبدالسلام ياسين، رحمه الله.

وتأتي هذه الندوة في سياق ما تعيشه الأمة الإسلامية في الوقت المعاصر من تمزق وتعصب أنبت فواجع عظيمة، مما يفرض على كل مكونات المجتمعات والشعوب العربية والإسلامية، فتح نوافذ للحوار والنقاش، وذلك من أجل مستقبل يشارك فيه الجميع.

هذا، وقد افتتحت الندوة الفكرية بتلاوة آيات بينات من الذكر الحكيم تلاها القارئ إدريس الملياني، بعد ذلك، أحال الأستاذ منير الجوري الكلمة إلى الأستاذ المهندس أبو بكر بن الصديق، عضو مجلس إرشاد جماعة العدل والإحسان رحب فيها باسم الجماعة بجميع الحاضرين ممثلي الحركات والأحزاب، والمفكرين والعلماء من داخل المغرب وخارجه.

وعرج مذكّرا بسيرة الإمام، رحمه الله، وداعيا إلى مطالعة الجزء الأول من كتاب الأستاذ العربي أبو حزم "عبد السلام ياسين الإمام المجدد" لما يضمه من مادة موثقة تحليلية عن حياة الإمام.

وأكد المهندس ابن الصديق على أن الذكرى الرابعة مناسبة للتواصل والحوار وتقريب وجهات النظر بين كل مكونات المجتمع، وأنهى حديثه بالتأكيد على أن الإمام المجدد عبد السلام ياسين رجل دعوة وحوار، جمع بين الاهتمام بالجماعة والاهتمام بالأمة والإنسانية، بل إن جل كتبه موجهة للجميع وغير مخصصة لأعضاء العدل والإحسان.

بعد ذلك انتظمت مداخلات الأساتذة الباحثين المشاركين في الندوة بتسيير الأستاذة آمال البوكيلي التي ذكّرت ببعض مناقب الإمام، رحمه الله، الذي كان مدار همه إحياء الأمة.

المداخلة الأولى: للدكتور إدريس مقبول بعنوان: ملاحظات على هامش فلسفة الحوار عند الأستاذ ياسين، حيث تناول مدير مركز ابن غازي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية، صلة الحوار عند الإمام بمفاهيم الذكر والتذكير والمذاكرة، كما أشار إلى أن الأصل عند الإمام في الحوار يبنى على التقارب وليس على التغالب، وختم ورقته البحثية بثلاثة شروط للحوار، وهي : الرغبة في الحوار و القدرة عليه، واغتنام فرصه.

المداخلة الثانية: للدكتور رياض الشعيبي الأمين العام لحزب البناء الوطني التونسي تحت عنوان: تجارب الحوار، نبه ابتداء إلى أن "الاستبداد السياسي في الوطن العربي استفاد أكثر من تفرق واختلاف الفاعلين والأحزاب والحركات "، إذ كلما زادت هذه الفرقة تقوّى الاستبداد وتغوّل.

وتطرق لتجربة الحوار بين فرقاء المشهد التونسي، متحدثا عن تجربتين جمعتا الأحزاب والمكونات هناك؛ الأولى تتعلق بوثيقة ١٨ أكتوبر ٢٠٠٥.

وأكّد أن الجلسات الأولى تميزت بالصعوبة لكن سرعان ما تم تجاوزها، مشيدا بانتهاج الحوار مسارا متوازيا بين الحوار الفكري من جهة والحوار السياسي من جهة ثانية، وعرض الشعيبي لأهم القضايا الفكرية التي تمحور حولها النقاش وهي أربع قضايا أساسية: الموقف من المرأة، والحرمة الجسدية، والديمقراطية، والهوية والدين والدولة.

مشددا على أن التقدم في الحوار الفكري كان ينعكس تلقائيا على التقدم في المسار السياسي، أما التجربة الثانية فهي تجربة الحوار الوطني سنة ٢٠١٣، مذكرا باختلاف الدوافع والسياقات عن الحوار الأول، معتبرا أن الحوار ما بعد الربيع العربي كان حوارا لتقاسم السلطة في وقت كانت فيه الشرعية الانتخابية غير كافية ليلجأ المختلفون إلى الشرعية التوافقية، وأنهى الباحث والسياسي التونسي حديثه بالقول بأن الحوار الأول أفضى إلى اتفاقات ثقافية وفكرية أما الحوار الثاني فوقف عند حدود تسويات سياسية.

المداخلة الثالثة: للدكتورة أمينة البوسعداني، باحثة في قضايا التربية والتواصل بعنوان: عوائق الحوار ومداخل إنجاحه، تطرقت البوسعداني إلى الحديث عن النظام الدلالي لمفهوم الحوار، كما تناولت في ورقتها العلمية عوائق الحوار و مداخل إنجاحه، و قسمت هذه العوائق إلى قسمين:ـ عوائق ذاتية: تتلخص في غياب الاستعداد النفسي للحوار على مستوى الأفراد والجماعات والجهل بالمحاوَر والتقوقع على الذات و التركيز على الأخطاء وعدم وضوح مضمون الحوار و عدم مراكمة التجارب الحوارية. وعوائق

موضوعية تتمثل في: سياسة الاستبداد التي تفرق الأطراف و كذا تسارع الأحداث على المستوى الوطني والدولي مما يؤدي إلى تأجيل فضيلة الحوار.

المداخلة الرابعة: للدكتور المعطي منجيب مؤرخ وحقوقي تحت عنوان: "آفاق الحوار"، حيث أشار في مداخلته في البداية إلى أن أنظمة الاستبداد تستفيد كثيرا من واقع التشرذم بين مكونات المجتمع، كما أكد على نقطتين أساسيتين، أولاهما حول الخلفية العميقة للحوار، وثانيتهما تتعلق باقتراحات حول إمكانية بناء ائتلاف يضم كل القوى الحية المناهضة للاستبداد.

ومن بين التعقيبات مشاركة الأستاذة آمال تيطاوين (حزب الإصلاح الوطني، الجزائر) التي أثارت جملة من الأسئلة منها: ما الهدف من الحوار، ومع من، ومتى، وما لغته، ومن يحاور، ما ثقافته واطلاعه وشخصيته، وسعة صدره، وقدرته على تحمل الآخر، وقدرته على طرح فكره؟

ثم كيف نجسد الحوار في الواقع، وكيف نستثمره في البشر،وكيف نفعل به المجتمع المدني؟

وشاركت الأستاذة خديجة مستحسان بالحديث عن كون الحوار في الجماعة مسألة مبدئية لاعتبارات عدة: الاعتبار الأول: اقتناع

الجماعة أن حل مجموعة من الأزمات لا يكون بإرادة منفردة.
الاعتبار الثاني: اقتناعها أن ثقل الموروث من الاستبداد والفساد والفتنة والظلم الاجتماعي يستحيل أن يتصدى له طرف واحد.
الاعتبار الثالث: اقتناعها أن الحقائق في الفعل السياسي تبقى نسبية ليس لأي طرف أن يحتكرها.
إضافة إلى أن الجماعة تغلب المجتمع الحي والمتنوع والدينامي، وترفض نموذج المجتمع النمطي لأن النمطية تولد الكسل والعجز والرتابة والتقليد.
وتطرح الجماعة الحوار المفتوح على مستوى القضايا، وعلى مستوى جميع المكونات والأطراف ما دامت تدافع عن مصلحة معتبرة للمجتمع. وعلى مستوى الحلول والاحتمالات.
أما الأستاذ أحمد بوعشرين الأنصاري فقال: في المغرب نعيش مرحلة ما قبل الحوار؛ إذ نعيش انعدام التواصل الحقيقي بين الفرقاء.
الهدف الأساسي من الحوار هو أن يؤدي إلى ميثاق وطني يكون أرضية لقطب ديموقراطي واسع ومانع مبني على تفاهمات تاريخية تجيب على أسئلة مركزية من بينها: ما هو الدستور الذي نريد؟ والشكل المقترح لصياغته؟ ما هي الدولة المنشودة؟

خلاصات: إسقاط الاستبداد شرط أساسي ولكنه غير كافٍ.
والتعاقد المجتمعي هو تعاقدان: عمودي بين الحاكم والمحكوم، وأفقي بين المحكومين.
الشرط الأساسي والكافي هو التزاوج بين التوافق وصناديق الاقتراع.
وأما الأستاذ منصف بن محمد الفرشيشي فقد بين أن الحوار البَنَّاء يتأسس على: الحريات العامة، وهي العامل الأساسي في بناء الإنسان، والشورى بمنظومتها وتفاصيلها.
وفي كلمة الأستاذ فؤاد بلمودن (أستاذ جامعي) أشار إلى أن الحوار ليس إلغاء للهويات أو القناعات سواء الدينية أو الإيديولوجية، الحوار ينظم الأولويات ويبدأ بالمشترك لا بالنقاط الخلافية، ويؤسس لآليات تدبير الاختلاف.
عند اطلاعي على مشروع الإمام ياسين، رحمه الله، ومشروع عابد الجابري وجدتهما اتفقا على نقطة أساسية: ضرورة بناء العمل التشاركي من أجل الديموقراطية والعدالة الاجتماعية والحريات السياسية، وتأجيل التنافس الإيديولوجي إلى مرحلة لاحقة.
وبين الأستاذ عبد الوهاب أكنجي (تركيا): المانع الحقيقي للحوار وبناء المشترك هو التمسك بالمصالح الشخصية أو الجماعية أو الحزبية أو التنظيمية، التي نُلبسها لبوس الاختلاف الفكري.
وقالت الأستاذة رحمة صديقي إن أولى صور الحوار التي يعرضها القرآن حوار الله عز وجل مع ملائكته وحواره عز وجل مع الشيطان، كان يقول الشيخ محفوظ النحناح رحمه الله نحن مستعدون للحوار حتى مع الشيطان، ولولا لطف الله والحوار لغرقت الجزائر في الدماء.
كما بينت الأستاذة جميلة الشملالي وجود محظورين اثنين في مسألة الحوار: الأول أن يتحول الحوار إلى شكل من أشكال الترفه، والثاني أن يتحول إلى شكل من أشكال العبث.
نتجنب المحظور الأول بطرح القضايا الجوهرية التي تواجه بلداننا، مثل غرق الشباب في المخدرات والفساد، وقضايا المرأة.
وأما الحوار العبثي فكما يفعل البعض برفعهم شعارات الحوار والإنصاف وهم غارقون في الفساد.
و تجدر الإشارة إلى أن هذه الندوة العلمية تستمد أهميتها من كونها مناسبة يلتئم فيها ثلة من مفكري هذه الأمة بمختلف مشاربهم الفكرية والسياسية والدعوية، لإثارة ومقاربة أسئلة ملحّة مرتبطة بضرورة الحوار وجدواه، أساليبه ووسائله، نتائجه والتزاماته، بغية تقريب المواقف والرؤى إزاء مداخل الإعداد لمستقبل يشارك الجميع في بنائه.

الشباب في تقرير الأمم المتحدة
حول التنمية البشرية العربية لعام ٢٠١٦م

تهميش الشباب يهدد بإجهاض جهود التنمية في المنطقة

إعداد : توفيق محمد نصر الله

حذر تقرير أصدره برنامج الأمم المتحدة الإنمائي من أن" الاستمرار في تجاهل أصوات الشباب (في العالم العربي) وإمكاناتهم، يدفعهم إلى التحول من قوة بناء في خدمة التنمية إلى قوة هدامة، تسهم في إطالة حالة عدم الاستقرار وتهدد أمن الإنسان بمختلف أبعاده بشكل خطير قد يجهض عملية التنمية برمتها."
وحمل تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠١٦ عنوان" الشباب وآفاق التنمية في واقع متغير"، وهو السادس في سلسلة تقارير يصدرها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي منذ عام ٢٠٠٢.
وفيما يلي نستعرض أهم ما جاء في هذا التقرير:

اغتراب الشباب :

بداية نبه التقرير إلى أنَّ جيل شباب اليوم أكثر تعليماً ونشاطاً وارتباطاً بالعالم الخارجي، مما ينعكس على مستوى وعيهم بواقعهم وتطلعاتهم لمستقبل أفضل، إلا أنّ وعي الشباب بقدراتهم وحقوقهم يصطدم بواقع يُهمِّشهم ويَسدّ في أوجُههم قنوات التعبير عن الرأي، والمشاركة الفاعلة، وكسْب العيش؛ ما قد يتسبَّب في دفعهم إلى التحول من طاقة هائلة للبناء إلى قوة كاسحة للهدم.

و حذر التقرير من أن الاستمرار في تهميش الشباب العربي وتجاهل أصواتهم يهدد بإجهاض جهود التنمية في المنطقة.

وجاء في مقدمة التقرير أن «الاستمرار في تجاهل أصوات الشباب وإمكاناتهم والاكتفاء بمبادرات صورية أو مجتزأة لا تغير واقعهم

يذكي اغترابهم عن مجتمعاتهم أكثر من أي وقت مضى».
وأضاف أن هذا النهج «يدفعهم إلى التحول من قوة بناء في خدمة التنمية إلى قوة هدامة تسهم في إطالة حالة عدم الاستقرار وتهدد أمن الإنسان.
وقد أثبتت أحداثُ ٢٠١١ وما تلاها قدرةَ الشباب على المبادرة بالفعل وعلى تحفيز التغيير، وأظهرت وعيَهم بما تطرحه الأوضاعُ العامةُ القائمة من تحدّياتٍ خطيرة للتنمية وقدرتَهم على التعبير عن عدم رضا المجتمع ككلٍّ عنها وعن مطالبه بتغييرها؛ كما كشفت عن عمق التهميش الذي يعاني منه الشبابُ، وعن عدم امتلاكهم أدواتِ العمل السياسيّ المنظّم التي تمكنهم من ضمانُ سلْمية التغيير واستدامتِه. وأثبتت هذه الأحداثُ أنَّ حصرَ الاستجابة لمطالب التغييرِ بالتعامل الأمني دون التصدي لمعالجة أسبابها يُحقِّق استقراراً مؤَقّتًا يؤجِّل دوراتِ الاحتجاج لكنّه لا يُقلِّل من فرص تكرارها؛ لا بل قد يؤدّي إلى تراكُمها، لتعود إلى الظهور بأشكال أكثرَ عنفًا وبشكل خطير قد يجهض عملية التنمية برمتها».

• من التحديات التي تواجه الشباب ندرة فرص العمل اللائق والإقصاء وانخفاض جودة التعليم والصحة

معاناة الشباب

وذكر التقرير ٢٠١٦ أن «شباب المنطقة يشتركون في معاناتهم من واقع التنمية الإنسانية، وإنْ بدرجاتٍ مختلفة. فهُم يشعرون بقلق عميق حيال مستقبلهم، ويسيطر عليهم إحساسٌ دفينٌ بالتمييز والإقصاء، ولا يُحصّل جزءٌ كبيرٌ منهم تعليمًا جيّدًا أو عملاً مقبولاً أو رعايةً صحيّةً مناسبةً، ولا يمتلكون تمثيلاً كافيًا في الحياة العامة ولا كلمةً مسموعةً في تكوين السياسات التي تُؤثّر في حياتهم. وتزداد هذه المعاناةُ تفاقُمًا بالنسبة إلى الشابّاتِ تحديدًا، بسبب انعدام المساواة واستمرار الفجوة في تمكين المرأة في المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بالرغم من بعض الإنجازات التي تحقّقت في عددٍ من البلدان».
ورأى التقرير أن «الكثير من خيارات الحكومات خلال العقود الماضية أدت إلى تهميش قطاعٍ عريض من الشباب، وراكَمت لديه قلّةُ الاهتمام الرسميّ بمتطلّباته شعورا بالظلم، وأثارت موجاتٍ من السخط العميق في أوساط هذا القطاع النشِط من السكّان.

تاريخيًّا، وخلال حِقبة النموّ السكّانيّ المطّرد، عاد ليَظهر في شكلٍ جديد خلال السنوات الخمس الماضية، حيث تنشط أعدادٌ متزايدةٌ منهم في تحدّي الحكومات التي حمّلوها مسؤوليةَ الإخفاق في تحقيق التنمية المنشودة. ويتّضح ذلك جليًّا في موجة الاحتجاجات التي قاد طليعتَها الشبابُ في العام ٢٠١١، والتي سلّطت الضوءَ على الحاجة الملحّة إلى تغيير النهج القائم في إدارة الشأن العام ومواردِ المجتمع».
وبين التقرير أنه «ليس هناك مجالٌ للشكّ في أنّ الشبابَ يُمكن أن يكونوا عناصرَ فعّالةً في إحداث التغيير الإيجابي المطلوب في المنطقة، شريطةَ الاعتراف بما لديهم من قدرات، والعمل على تطويرها، والسعي إلى استثمارها. لذا، يدعو هذا التقريرُ إلى وضعهم في صلْب عملية التنمية الإنسانية، بما يعنيه ذلك من إتاحة فرصٍ حقيقية أمامهم لتكوين مستقبلهم وتحريرِ طاقاتهم».
بموازاة ذلك، يُنبّه التقريرُ إلى أنَ سياساتِ وممارساتِ الإقصاء في مختلف المجالات، وعدمَ كفاية الحماية الموفَّرة للحريات العامة وحقوق الإنسان، وضعفَ التنافُسية الاقتصادية، والتقصيرَ في إرساء دعائم الحُكم الرشيد، ولاسيَّما في جوانبه المتعلقةِ بالشفَّافية والمساءلة، تُهدّد مستقبلَ الشباب وآفاقَهم بشكلٍ متزايد. وتستقطب هذه العواملُ بعضَ الشباب إلى مواقعَ معرقلةٍ للتنمية، بما في ذلك إيديولوجياتُ التطرُّف العنيف؛ خصوصًا في ظلّ ما تشهده بلدانٌ عدّة من تعاظم في وتيرة النزاعات، وهشاشةِ مؤسسات الدولة، واختلالِ العلاقةِ بين السلطة السّياسية والقوى المجتمعية.

أحداث عام ٢٠١١ وما بعدَها :

ويرى التقريرُ أنّ أحداثَ عام ٢٠١١ وعواقِبَها هي نتيجةُ تراكُم عقودٍ طويلة من السياسات العامة التي أدّت تدريجيًا إلى إقصاء قطاعاتٍ واسعة من الناس عن المجالات الاقتصاديّة والسياسيّة

والاجتماعيّة. وحرَم ذلك المزيدَ من السّكان رعايةً صحيّةً مناسبة وتعليمًا جيّدًا، وأدّى إلى تفاقُم مشكلة بطء نموّ الدخل التي لَطالما عانتها المنطقة؛ الأمرُ الذي عمّق الفجوةَ القائمة بين فئات المجتمع.

يستند هذا التقييمُ إلى تحليل مؤشّر التنمية البشرية الصادر عن برنامج الأمم المتّحدة الإنمائي الذي يَرصد التقدمَ في جوانبَ رئيسيّةٍ في حياة الناس تشمل إمكاناتِ العيش فترةً طويلة مع الحفاظِ على صحّةٍ جيدة، وتحصيلِ العلم، والتمتّعِ بمستوياتٍ معيشيّةٍ لائقة.

• التقرير يدعو إلى الاستثمار في الشباب وتمكينهم من الانخراط في عمليات التنمية

بعد نجاح المنطقة في رفع معدّلات المؤشّر في الفترة ما بين عامي ١٩٩٠ و٢٠١٠، نتيجةَ التقدم الذي أُحرز في مجالَي الصحة والتعليم، بدأ المؤشّرُ يتباطأ، فهبط معدّلُ النمو السنوي بأكثرَ من النصف بين عامي ٢٠١٠ و٢٠١٤، مقارنةً مع النموِّ المتحقّق بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠١٠، متأثراً على ما يبدو بالأزمةَ الماليّة والاقتصاديّةَ العالميّة في فترة ٢٠٠٨ / ٢٠٠٩، مقرونةً بعدم الاستقرار السياسي، والحروب والصراعات المسلّحة التي نشبت في عدد من البلدان العربية.

وإذا ما استمر الاتجاه السائد، يُتوقَّع أن تَحلّ المنطقةُ في عام ٢٠٥٠ في المرتبة الخامسة بين مناطق العالم الست على «مؤشر التنمية البشرية»، متقدمة على إفريقيا جنوب الصحراء فقط.

وذكر التقرير أنه على مدى عقودٍ مضت، اتّبعت الحكوماتُ في المنطقة نموذجًا للتنمية هيمَن عليه القطاعُ العام، بحيث أصبح الملاذَ الأولَ والأخير للإعالة، ما خلَق تناقُضاتٍ عديدة.

من ناحيةٍ أولى، وسَّع هذا النموذجُ إمكانيّةَ حصول الناس على استحقاقاتٍ رئيسيّة - أكان ذلك من خلال التوظيف في مؤسساتها أو من خلال الإعانات في المواد الغذائيّة التي تُوفّرها - الأمرُ الذي خفَّض نسبةَ الفقر وعدم المساواة في الدَّخل، ووفّر حمايةً اقتصادية لفئاتٍ كانت محرومةً.

لكنّ هذه النتائجَ الإيجابيّةَ ظاهريًّا فرضَت، من ناحيةٍ ثانية، مقايضةً أعمقَ على المدى الطويل. فالمكاسبُ المتحقّقة من منظور التنمية البشرية نادراً ما تُرجمت إلى زيادةٍ في الإنتاجيّة والنموّ، لأنّ النموذجَ التنمَويَّ المعتمد حصرَ رأسَ المال البشري في وظائفَ حكوميّةٍ غيرِ منتِجة، وبنى هرَمًا من الامتيازات التي منحت الأفضليةَ الاقتصاديّة لشركاتٍ وأفرادٍ على علاقةٍ وثيقة بصانعي القرار، وعزّز تحالُفاتٍ هيكليّةً قويّة بين النُخَب السياسية والاقتصاديّة لتأمين مصالحِها أولاً.

الفسادُ: مسمارٌ خفيّ :

وخلص التقرير إلى أن «إحرازَ تقدّم يُرضي الشبابَ، ويُتيح للمنطقة العربية توظيفَ إمكاناتها الهائلة في تسريع وتيرة التنمية ومعالجةِ القصور الحاصل، يتطلّب وعيًا عاليًا من جانب النُّخَب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتعاونًا وثيقًا بين مختلف الأطراف المعنيين، بمن فيهم الشباب، من أجل ترسيخ ثقافةٍ طاردة للفساد، وتطبيقِ المعايير الدَّولية المنبثقةِ عن اتفاقية الأمم المتّحدة لمكافحة الفساد، ووضعِ وتنفيذ استراتيجياتٍ وطنية فعّالةٍ ومنسَّقة تستهدف أولَوياتٍ واضحةً وذاتَ تأثيرٍ مباشر على تنافُسية القطاع الخاص، وجُودة الخدمات الأساسية ونزاهتِها، وقدرةِ الدولة على تحصيل الموارد لإعادة استثمارها في التنمية على نحوٍ شفّاف وقابلٍ للمساءلة».

الشباب العربي عامل حاسم للتغيير

ودعا التقرير إلى تطوير السياسات والاستراتيجيات الخاصة بالشباب، وكذلك إعادة صياغة السياسات العامة في البلدان العربية «حول نموذج جديد للتنمية جدير بالشباب في ظل الواقع المتغير الذي تعيشه المنطقة اليوم على الصعد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية».

ويرتبط التقرير الجديد بخطة التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠ التي اعتمدها زعماء العالم العام الماضي والتي تؤكد على أن «الشبان والشابات عوامل حاسمة للتغيير ومحوريون لتحقيق التنمية المستدامة».

ويرتكز التقرير على انتفاضات الربيع العربي التي انطلقت عام ٢٠١١ وكان الشباب في طليعتها، وما تلاها من تطورات من منظور التنمية الإنسانية.

وجاء فيه أن انتفاضات الربيع العربي «مثلت... نقطة تحول فارقة لم يعد ممكنا بعدها إيقاف قوة الدفع للتغيير من أجل الإصلاح، لكنها تواكبت في الوقت ذاته مع حالات حادة من النزاع وعدم الاستقرار».

ثلث سكان المنطقة شباب :

وقالت هيلين كلارك، مديرة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي،في تصريح نقلته قناة فرانس ٢٤ إن التقرير يؤكد على أن «تمكين الشباب وإشراكهم في هذا المنعطف المهم من تاريخ المنطقة حيويان لوضع أسس جديدة وأكثر استدامة للاستقرار».

وأضافت في مقدمة التقرير أنه «يدعو الدول العربية إلى الاستثمار في شبابها وتمكينهم من الانخراط في عمليات التنمية».

وتابعت أن «هذه أولوية حاسمة وملحة بنفسها وشرط أساسي لتحقيق تقدم ملموس ومستدام في التنمية والاستقرار للمنطقة بأسرها.»

ووفقا للتقرير، فإن ما يقارب من ثلث سكان المنطقة تتراوح أعمارهم من ١٥ إلى ٢٩ عاما (أكثر من ١٠٥ ملايين شخص)، في حين يشكل الأطفال دون ١٥ عاما ثلثا آخر.

وقالت كلارك «سيبقى هذا الزخم السكاني إلى العقدين القادمين على أقل تقدير ويوفر فرصة تاريخية يتحتم على البلدان اغتنامها».

الشعور بالعجز والاغتراب:

وقالت صوفي دو كاين، مديرة المكتب الإقليمي لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي للدول العربية بالإنابة، إن التقرير يشدد على أن «الشباب في المنطقة العربية لا يمثلون مشكلة لعملية التنمية أو عبئًا عليها، وإنما هم مورد أساسي لحل مشاكل التنمية في هذه المنطقة».

وذكرت أن التقرير يحذر من أن عدم تمكين الشباب يزرع بذور عدم الاستقرار.

وقالت دو كاين «من البديهي أن الشباب في أنحاء المنطقة العربية تأثروا على نحو خطير بالأزمات الحديثة العهد، حيث جرف العديد منهم إلى الخطوط الأمامية لصراعات لم يبدؤوها... وفي مواجهة تحديات كهذه انضم بعضهم إلى جماعات متطرفة».

ويستعرض التقرير مجموعة من التحديات التي يواجهها الشباب العربي ومنها ندرة فرص العمل اللائق والإقصاء وضعف المشاركة السياسية وانخفاض جودة التعليم والصحة وسوء إدارة التنوع في المجتمع وانتشار مفاهيم وممارسات موروثة تعيق المساواة بين الجنسين.

وقالت كلارك «لا يزال الكثيرون يتلقون تعليمًا لا يعكس احتياجات سوق العمل، فيما أعداد كبيرة منهم عاطلة عن العمل ومستبعدة عن الاقتصاد الرسمي ومن دون مورد رزق».

وأضافت أن «الخطر لهؤلاء الشباب أنهم يعانون الإحباط والشعور بالعجز والاغتراب والتبعية بدلا من استكشاف الفرص المتاحة واستشراف آفاق المستقبل».

صياغة نموذج جديد للتنمية :

ولفت التقرير إلى أن الشباب الذين ينضمون للجماعات المتطرفة ينتمون لطبقات اجتماعية واقتصادية مختلفة لكن «يتبين أن غالبيتهم خبروا مباشرة نتائج إخفاق النموذج التنموي في المنطقة ولذا انخرطوا في العنف لاعتقادهم بأنهم يفتقرون إلى خيارات أفضل».

• ضرورة تطوير السياسات والإستراتيجيات الخاصة بالشباب وإعادة صياغة السياسات العامة

وذكر التقرير أن المؤشرات تشير إلى أن الغالبية الساحقة من الشباب في المنطقة العربية لا تميل إلى تبني أفكار متطرفة عنيفة أو الانضمام لجماعات إرهابية، لكنهم «يبقون معرضين ليكونوا ضحية دعاية جماعات تسيء استخدام الدين مستفيدة من الدور المحوري الذي يلعبه في تشكيل الهوية».

ودعا التقرير الدول العربية إلى صياغة نموذج جديد للتنمية جدير بالشباب ويهتم بثلاثة أبعاد إستراتيجية رئيسية هي: العمل على تعزيز قدرات الشباب الأساسية بما يمكنهم من تحقيق أقصى إمكاناتهم، وتوسيع نطاق الفرص المتاحة للشباب من أجل تحقيق الذات اقتصاديا بتوفير فرص عمل واحترام حقوقهم وحرياتهم وتمكينهم من المشاركة الفاعلة، وأخيرا العمل على تحقيق السلام والأمن وتعزيز دور الشباب في هذا الإطار لضمان جدوى البعدين السابقين.

ديناميات عدم تمكين الشباب :

يرى التقرير أنه لا يمكنُ تحقيقُ التغييرِ المنشودِ دونَ تمكينِ

الشباب أنفسِهم، أي توسيع قدرتهم على اتّخاذ خِياراتٍ حياتيّة إستراتيجية في مجالاتٍ لم تكن تتوفّر فيها هذه القدرة سابقًا. فذلك سيُعزّز شعورَهم بالفعاليّة، ويُحفّزهم على المساهمة في عمليات الإصلاح، ويرفع مستوى إدْماجهم في المجتمع.

ويُحدِّد التقريرُ عدّةَ عواملَ متأصّلةٍ في المنطقة العربيّة تُعيق تمكينَ الشباب، وتَنزع إلى إضعافهم، وتمنع تحريرَ طاقاتهم الكامنة على نحوٍ كامل، ويُجمل أهمَّ تلك العوامل تحت ستة عناوين رئيسية، هي: ندرةُ فرص العمل اللائق، وضعفُ المشاركة السياسية، وانخفاضُ جودة الخدمات العامة في مجالَي التعليم والصحة، وسوءُ إدارة تَنوّع الهُويات في المجتمع، وانتشارُ مفاهيمَ وممارساتٍ موروثة لا تساوي بين الجنسين، واستطالةُ صراعاتٍ تَسرق مكتسَبات التنمية.

ندرةُ فرص العمل اللائق :

يُحلِّل هذا التقريرُ النواتجَ الرئيسيّةَ لسوق العمل فيما يَخصّ الشبابَ في المنطقة العربيّة، حيثُ يُسجّل معدَّلاتٍ منخفضةً جدًّا لمشاركتهم في القوى العاملة تصل إلى ما يقارب ٢٤ في المائة، وتنخفض إلى ما دون ١٨ في المائة بين الشابات؛ وهو أدنى معدَّلٍ مقارنةً بباقي مناطق العالم.

ونسبةُ البطالة بين الشباب هي الأعلى لهذه الفئة العُمريّة في العالم، إذ تقترب من ٣٠ في المائة - بعد خمس سنواتٍ من الاحتجاجات الواسعة التي طالبت بالعيش الكريم.

ويخلص التقرير إلى أن توفيرُ فرصٍ للحصول على الوظائف يشكل واحدًا من أكبر التحدِّيات للمنطقة التي تُعدّ فيها معدّلاتُ البطالةِ المرتفعةُ لدى الشباب سمةً بارزة.

ضعفُ المشاركة السياسية:

يُرجع هذا التقريرُ ضعفَ مشاركة الشباب إلى طبيعة الحياة السياسية في البلدان العربية التي توجد فيها قوانينُ وممارساتٌ ذاتُ طابعٍ إقصائي عمومًا، لكنه يَكشف في الوقت ذاته تطوّراً إيجابيًّاً هامًّا في هذا المجال؛ إذ يُشير إلى أنّ اهتمامَ الشباب بالمشاركة السياسيّة يتزايد. ففي البلدان التي تشهد انتقالاً سياسيًّا، يتفوّق الشبابُ في اهتمامهم بالسِّياسة على مَن يَكبرهم سنًّا - لكنْ نادراً ما يُترجَم هذا الاهتمامُ إلى مشاركةٍ رسمية، إلّا بين الشباب الأفضل تعليمًا - وحتى هؤلاء، غالبًا ما يَقتصر نشاطُهم على المشاركات في المظاهرات.

ويُبيّن التقريرُ أيضًا أنّ افتقارَ الشباب إلى الثقة في العمليّة الديمُقراطيّة يَحدّ من مشاركتهم في الانتخابات مقارنةً مع مجموعاتٍ أُخرى من المواطنين، ما يُعمّق حالةَ الحرمان الشامل التي يعانونها، والتي تمثّل تحدّيًا رئيسيًّا أمام عمليّة التنمية الإنسانية في المنطقة العربية.

وبين التقرير أنه خلال عام ٢٠١١ والفترة التي تَلته، استثمر الشبابُ - والشابّاتُ على وجه التحديد - الفرصةَ لإيصال أصواتهم المطالِبةِ بإقامة العدالة بين النوعين الاجتماعيين على اعتبارها جزءًا لا يتجزأ من العدالة الاجتماعيّة.

انخفاضُ جودة الخدمات العامة:

ويشير التقرير إلى أن تحسينُ جودة الخدمات العامة في مجالَي التعليم والصحةِ هي التحدِّيَ الأكبر، خصوصًا في المجال الأول؛ نظراً إلى استياء الشباب المتزايدِ تجاه قيمة التعليم العالي وتُخْمةِ الخرِّيجين الذين يُعانون البطالة. ويرتبط ضعفُ مخرَجات التعليم في المنطقة العربية بشكلٍ وثيق مع تدنِّي مجموعةٍ واسعة من نتائج التنمية المرتبطةِ بالقدرة على وُلوج سوق العمل بكفاءة، وتعظيم سُبُل كسْب العيش، والحصولِ على التمويل، والنجاحِ في ريادة الأعمال.

سوءُ إدارة التنوع في المجتمع:

ذكر التقرير أن الاستقطابُ حول قضايا الهُويّة في المنطقة العربية يُحوّل الانتباهَ عن التحدِّيات الاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة التي تواجهها؛ مع أنّ المشكلةَ لا تتمثّل في تنوُّع الهُويات - أكانت دينيّةً أو عِرقيّة أو ثقافيّة - في حدّ ذاته، ولكنْ في كيفيّة إدارة هذا التنوّع على المستوى الاجتماعيِّ -السياسي، وبواسطة القوانين والمؤسسات على مستويَي النصّ والتطبيق. فالإخفاقُ في ضمان المساواة بين جميع المواطنين يجعل جماعاتٍ عديدةً من مواطني البلدان العربية وقاطنيها عرضةً للتمييز، وأكثرَ ميلاً إلى التكتّل على أساس مصالحَ فئويةٍ قد تصطدم بالمصالح المشتركة العابرة للفئات كافّةً.

صراعاتٌ مطوَّلة تُقوِّض مكتسَباتِ التنمية:

أوضح التقرير أن الحروب والصراعات المسلحة تُدمِّر نسيجَ المنطقة العربيةِ الاجتماعيّ، مسبِّبةً خسائرَ فادحةً في الأرواح؛ ليس بين المقاتلين فحسْب، لكنْ أيضًا - وعلى نحوٍ متزايد - بين المدنيين، بمن فيهم الأطفال. ويقع العددُ الأكبر من الوَفياتِ خارج ساحات المعارك، حيثُ مقابلَ كلّ شخصٍ يُقتل مباشرةً بالعنف المسلّح، يموت ما بين ٣ و ١٥ آخرين على نحوٍ غيرِ مباشر من أمراضٍ كان يُمكن أن تُعالج، ومضاعفاتٍ طبّية، وسوءِ تغذية.

نحوَ نموذج تنمَويٍّ جديد:

يَخلص التقريرُ إلى أنّ الشبّان والشابّات في المنطقة العربية بدؤوا يُكافحون من أجل الوصول إلى تحقيق اندماج اقتصاديٍّ وسياسي واجتماعي كامل في مجتمعاتهم، لكنّهم أقلُّ رضًا عن أوضاع بلدانهم مقارنةً بالشباب في مناطق العالم الأخرى. الأسوأ من ذلك أنّهم أقلُّ قدرةً من نُظرائهم على ممارسة أيّ قدرٍ من التأثير في مستقبلهم؛ وأنهم على وعيٍ كامل بأنّ الخِياراتِ المتاحةَ أمامهم محدودةٌ وعقيمة، ويرفضونها بعُمومها، ويشعرون بأنّهم غيرُ ممكَّنين بما فيه الكفايةُ ليتحمّلوا مسؤولياتِهم في تطويرها.

ماذا فعلنا بـ «بيئتنا الجميلة» ؟!

أ .د. أحمد محمود عيساوي

أكاديمي وباحث جزائري

= لـو عدنا بذاكرتنا لحصاد أزيد من خمسين سنة مضت من أعمارنا حين كنا صغارًا نتجول في أرجاء بيئتنا الجميلة ونتمتع بجمال الطبيعة وسحرها الأخاذ في ربوع وطننا العربي الكبير قبل أن تعبث به أيادي التخريب والإفساد البشري، وترمي بملوثاتها السائلة والصلبة والغازية والبكترية والكيمياوية والنووية على أخضره وجميله ويابسه... لو عدنا إلى تلك السنين، لتمنينا أن تتوقف بنا عجلة الزمان عند تلك المشاهد والصور المفعمة بالحياة الصحية والطبيعية الخلابة، حيث كنا نلعب ونركض ونتسابق ونستنشق هواءها النقي ونسماتها الناعمة المنعشة، ونشرب من مائها العذب الصافي الفرات، ونأكل من خيراتها وغلالها الطبيعية الوفيرة وحيواناتها وطيورها اللذيذة، ونعدو في سهولها ومروجها وجبالها وهضابها الخضراء، ونُبلل سيقاننا الغضة في غدائرها وينابيعها وشلالاتها وأنهارها العذبة. إذ كنا يومها ننتظر بفارغ الصبر مجيء يوم العطلة كي نسافر من دمشق إلى بيروت بالحافلة التقليدية الكبيرة - البوسطة -، أو أن نركب القطار البخاري -الحجازي- نحو قرى ريف الشام - دمشق - الغربي بدءًا بالمزة فدُمَّر والهامة وبقين ومضايا وعين الفيجة والزبداني، لنتمتع بسحر الطبيعة الأخاذ الممزوج بلمسات نسائمها العليلة. أو لنتملى جمال الطبيعة الأخاذ في بلدتنا تَبَسَّة بالشرق الجزائري، حيث الغدران والمروج الخضراء والغابات الوارفة والأحراش والثمار والأعشاب والفواكه والخضراوات والحشائش والحيوانات البرية التي تُلون الأفق الجميل مع مغيب الشمس الربيعية الآفلة نحو الشفق المهاجر.

كان للطبيعة والبيئة أثرها الفعال في تربية وتعليم وتأديب وتكوين وتثقيف أبناء جيلي، ذلك الجيل الذي كان يرتبط كل شيء في حياته بحنان الطبيعة ودفئها وجمالها. وحيثما كان يستمتع بالقراءة والمطالعة في الحدائق والمروج والساحات الخضراء، بل كان يُراجع دروسه ويُذاكر ويحضِّر للامتحانات أيضا في ظلال وسكينة البساتين وأشجار اللوز والجوز والصفصاف والزيتون الوارفة الظلال في الغوطتين... فأنى لهذا الزمان أن يعود؟ وأنى لهذه الأجيال أن تتمتع بمثل ما تمتعنا به من صفاء الطبيعة ونقائها؟

لماذا أفسدنا هذه البيئة الجميلة؟ ولماذا لم نحتفظ بها سليمة معافاة لنسلمها للأجيال اللاحقة كما تركها لنا الأولون؟ ومن المسؤول عن ذلك؟ وهل يمكننا إعادة ترميم ما أفسدناه؟ وهل بإمكاننا إخراج هذه الأجيال من عيشة الزجاج والبلاستيك والطبيعة المزيفة التي فرضتها عليهم حتميات الحداثة الغربية؟ ولكن أنى لنا التملص من كل ذلك؟!

مثار القلق:

سلسلة كبيرة من الأسئلة والإشكالات تفرض نفسها في هذا السياق الحياتي المحتوم، وتُلحُ علينا بقوة على ضرورة وضع الأمور والمسميات والأشياء والأفكار والأشخاص في أماكنها المسؤولة عنها. يختزلها هذا التساؤل المركزي المزلزل: كيف يمكن للأجيال أن تستمر وتحيا وتعيش في ظل هذا الانهيار والتداعي البيئي والمناخي الكارثي؟

لقد كان مبعث هذا السؤال وغيره من التساؤلات والإشكالات المرتبطة بعالم البيئة والمناخ والسكان.. تلك الإشراقات العلمية والمعرفية التي شع بها كتاب (سلسلة عالم المعرفة) (الانفجار السكاني والاحتباس الحراري، للأستاذ الدكتور عبدالمنعم مصطفى قمر، رمضان ١٤٣٣هـ أغسطس ٢٠١٢م، عدد ٣٩١) الصادر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت الشقيقة، والرائدة في مشاريع البيئة والثقافة والفكر والدعوة والإعلام وغيرها، حيث تعاطى مؤلف الكتاب مع أخطر قضية تشغل بال المجتمع الدولي ومؤسساته وفعالياته الرسمية والشعبية، بل الإنسانية جمعاء، منبها إلى خطورة الوضع البيئي والمناخي العالمي، وما آل إليه كوكبنا من اختلالات واضطرابات إيكولوجية مدمرة.

والكتاب مكون من مقدمة، وخمسة فصول، ويحوي كثيرًا من المعلومات العلمية الموثقة والصادرة عن عدد كبير من مراكز البحث والدراسات البيئية والإستراتيجية، وعن كبار العلماء في البيئة على مستوى العالم. وقد عرض في الفصل الأول منه: الزيادة السكانية والعوامل المؤثرة فيها، وتطور ونمو عدد السكان منذ عام ١٦٥٠م للآن. فيما تناول في الفصل الثاني: ملامح التغيرات المناخية على المستوى العالمي والعلاقة بين تلك التغيرات المناخية التي حدثت بالتغيرات في الغلاف الجوي والنظم البيئية وأسبابها المفضية لظاهرة (الدفيئة) والمشهور بظاهرة (الاحتباس الحراري). وعرض في الفصل الثالث علاقة: الزيادة السكانية بتدهور البيئة وتدمير الغابات نتيجة زيادة الطلب على الاستهلاك والإفراط فيه، وأثر ذلك في المناخ العالمي، وأهمية بقاء الغابات لحصول الاتزان البيئي والطبيعي، واستمرار التنوع الإيكولوجي والبيولوجي في بقاء واستمرار الحياة وانقراض وبقاء الحيوانات والأنواع. فيما بسط في الفصل الرابع: الآثار السلبية للزيادة السكانية في الأنظمة البيئية والمناخية وعلاقتها بظاهرة الاحتباس الحراري. وختم كتابه بالفصل الخامس: عن ظاهرة التصحر التي اعترت كوكبنا المنهوك كنتيجة للزيادة السكانية المفرطة وللتغيرات المناخية المدمرة. (المرجع نفسه، ص ٥ـ١٠).

وللتوضيح فإن مقالنا هذا لن يجري مجرى التعريف أو عرض أو تلخيص الكتاب الذي قرأناه قراءة تحليلية عميقة عن البيئة وما أصابها وسيصيبها في القرن الواحد والعشرين، بل سنسعى إلى اختيار أهم الأفكار والحقائق والمعلومات والوقائع ذات الصلة الوطيدة بالأسئلة والإشكالات المطروحة في بداية هذا المقال عن التدمير الكارثي للبيئة، حيث يقول الأستاذ الدكتور عبدالمنعم مصطفى قمر: «.. لا يُدرك البشر نتيجة سلوكياتهم المدمرة للبيئة إلاّ بعد فوات الأوان... ولا يبالون بالمحافظة على بيئاتهم، ويسعون إلى تدميرها بمخترعاتهم، يحرقون أشجارها، ويجتثون غاباتها، يلوثون مياه أنهارها وبحارها، ولا يعرفون كيف يستفيدون من مخلفاتها، ويجهدون أرضها، ويستنزفون مواردها، ويفرطون في صيد أسماكها، ويتسببون بسلوكياتهم اللاواعية في انقراض طيورها وحيواناتها، ويقضون على أصول نباتها غير عابئين بالنتائج السلبية لتلك السلوكيات من انقراض لتلك الأنواع..» (المرجع نفسه، ص ٧ و ٨).

وعلى الرغم من العرض العلمي والمنهجي التخصصي الدقيق والهادئ، وبُعد المؤلف عن العاطفة لطبيعة الموضوع العلمية والتخصصية، إلاّ أن سعة وعمق اطلاع الباحث على واقع كوكبنا وما آل إليه من انهيار واضطراب بيئي ومناخي، لم يمنعه من التخلي عن موضوعيته العلمية التخصصية الهادئة - في الكثير من المواضع- ليجأر عاليا في فضاء الأقوياء والمتسببين في تدمير كوكبنا الجميل، بل ليُفْرِغ ما تبقى من شحنات الألم ودفقات الخوف في أعماق الضميرِ الإنساني الغافل، علَّهُ يستيقظ من أنانيته وشهواته المفرطة والمدمرة للموارد البيئية لتوفير الحياة الرغدة والمرفهة، ولو على حساب الأجيال القادمة التي سيتهددها الاختلال البيئي والمناخي الرهيب، وسيفسد عليها حياتها المتوازنة والسوية، ويحرمها من الاستمرار في صناعة الحضارة والتقدم والهدى.

فالبيئة والمناخ هي حياة الإنسان السعيدة أو التعيسة مع بني جنسه على سطح الأرض، والتي تشهد وستشهد في العقود القادمة «.. تطورات متسارعة مذهلة، كانت بدايتها ما لاحظناه من ارتفاع في معدلات درجات الحرارة في جو الأرض، وما أحدثه ذلك من تغيرات كثيرة في المناخ العالمي، من انصهار الجليد والثلوج على نطاق واسع في القطبين الشمالي والجنوبي وفي الأنهار الجليدية، مما كان له آثار ملحوظة على ارتفاع المتوسط العالمي لمستوى أسطح البحار، وحدوث أزمات من عدم توافر المياه العذبة الصالحة للشرب، وتدهور الأراضي، وتهديد الأمن الغذائي، وفقدان التنوع الحيوي، وزيادة الأعاصير والفيضانات، وزيادة حالات الجفاف في كثير من بقاع العالم، وانتشار مسببات كثير من الأمراض، وظهور أمراض لم تكن موجودة من قبل..» (المرجع نفسه، ص ٨).

ويُرجع الباحث التدهور البيئي الذي يعرفه كوكبنا إلى جملة من العوامل أجملها في العناصر الآتية:

١ - الأنشطة البشرية الهمجية والسلوكية العنيفة واللاواعية تجاه البيئة، والتي ستؤدي بالبشرية لنهايتها المحتومة.

٢ - تفاقم وتفاعل الاضطرابات والاختلالات البيئية التي عصفت بالنظام البيئي السوي للأرض، كالكوارث البيئية من: (زلازل، براكين، فيضانات، أعاصير، حرائق غابات، انفجارات باطنية، تسونامي..)، وتصاعد نسب وكميات غاز ثاني أوكسيد الكربون القاتل. (المرجع نفسه، ص ٦٣).

٣ - أنانية الأقوياء للبحث عن الحياة المرفهة، حيث يتمتع ربع

السكان بثمانين بالمائة من ثروات الأرض، وإنتاج النفايات بلا حساب، والتخلص منها بالحرق أو بالدفن، فيلوث جراءها الغلاف الجوي الغازي والتربة والمياه الجوفية التي يتنفسها ويستهلكها سكان الأرض. وفي هذا الصدد تقول (ساندرا بوستيل) في كتابها (الواحة الأخيرة، لندن ١٩٩٢م): «.. في كاليفورنيا يستخدم كل شخص مئات اللترات من الماء يوميا، وفي الوقت نفسه يقوم سكان جنوب الصحراء الإفريقية بقضاء ساعات في المشي بحثاً عن كمية من الماء تكفي للشرب فقط، كما يقضون ما بين ٥ و ٦ ساعات يوميا مشيًا على الأقدام للحصول على أخشاب الأشجار والشجيرات لاستخدامها في الطهو أو للحصول على الطاقة..» (المرجع نفسه، ص ٨١ و ٨٢).

٤ - تدمير طبقة الأوزون الحامي للحياة على سطح الأرض، والمانع لوصول الإشعاعات الضارة على سطحها.

٥ - ارتفاع درجة الحرارة على سطح الكوكب، فيما يُعرف بظاهرة الدفيئة (الاحتباس الحراري)، وما تسببه من مشكلات مناخية وتداعيات بيئية سلبية سببت وستسبب مشكلات صحية وأضراراً بيئية ومناخية وغذائية ونفسية واقتصادية واجتماعية.. فادحة لسكان الأرض.

٦ - تدني مستويات الفقر والعوز العالمي حيث يكدح ثلاثة أرباع سكان المعمورة من أجل الحصول على لقمة العيش، بمقابل تدمير البيئة وحرق الغابات والإفراط في استغلال الموارد البحرية والمائية والحيوانية والغابية على حساب الأجيال القادمة.

٧ - توسع النشاط الصناعي والاقتصادي والإفراط العشوائي في الاستخدام الكيميائي والبكتيري والبيولوجي والمعدني والبترولي واستهلاك الطاقة.. وما يخلفه ذلك النشاط الأرعن والعشوائي من نفايات صلبة وسائلة وغازية ونووية وكيماوية وبيولوجية وبكتيرية.. مسببة للاختلالات المناخية والبيئية والطبيعية والغذائية والصحية..فـ «هناك المنظفات الصناعية مثل سوائل التنظيف الجاف وما ينطلق منها من الكلور، لذا فهي من المواد المدمرة لطبقة الأوزون، فضلا عن ثوران البراكين..» (المرجع نفسه، ص ٧٨).

٨ - توسع وانتشار الحروب والنزاعات في العالم، وما يتطلبه ذلك من حرق وتدمير وتفجير واستهلاك ذخائر ووقود ومواد متنوعة، وما يخلفه من نفايات وبقايا على سطح الأرض وفي أعماق البحار والمحيطات، (فما يستهلكه صاروخ واحد يقذف نحو الغلاف الجوي من تفجير في دقيقتين يعادل ما أنتجته الأرض من مادة الأوكسجين النقي طيلة ألف سنة)، وفي هذا الصدد ينبه الباحث مندهشا فيقول: «وسوف نندهش عندما نعلم أن إطلاق مكوك فضائي واحد يتخلف عنه في الدقيقتين الأوليين فقط ما يساوي ١٨٧ طنا من غاز الكلور ومركباته، وسبعة أطنان من أكاسيد النيتروجين، و ١٨٠ طنا من أكسيد الأولومنيوم، ولك أن تتصور ما يصيب طبقة الأوزون من دمار إذا علمنا أنه في خلال العشرين سنة الماضية فقط وصل عدد الصواريخ ومركبات الفضاء والأقمار الصناعية المنطلقة للفضاء الخارجي للأرض إلى أكثر من ٢٠ ألفا، سواء المستخدم منها في الأغراض العسكرية أو في الأغراض العلمية، ولذلك فإن الدول الكبرى مسؤولة مسؤولية مباشرة عن تدمير طبقة الأوزون بسبب غزو الفضاء والتفجيرات النووية وإنتاج مركبات الكلوروفلوروكربون وغيرها» (المرجع نفسه، ص ٧٧).

٩ - الارتفاع غير العقلاني لعدد السكان في مناطق مخصوصة من العالم، حيث تتركز الزيادة السكانية في جنوب وشرق آسيا (الصين، الهند، باكستان، بنغلاديش، إندونيسيا، كوريا، فيتنام..)، دون حساب المقدرات والمتطلبات الاستهلاكية لتلك الزيادات، بحيث «وصلنا إلى نقطة حرجة جدا، وهي أن ما يذهب الآن يذهب إلى الأبد» (المرجع نفسه، ص ٧٩). فضلا عن ارتفاع عدد ضحايا المجاعات والمهددين بها في العالم إلى ٦٨٠ مليوناً عام ٢٠١٠م، منهم ٢٥٠ مليوناً في القارة الإفريقية (المرجع نفسه، ص ٨٣).

١٠- ازدياد الطلب على الموارد وإنهاك خصوبة التربة باستخدام المخصبات الزراعية والكيماوية، وبفعل التكالب على زراعة أكبر مساحة من الأراضي للحصول على كمية أكبر من المحاصيل الزراعية لضمان الأمن أو الاكتفاء الغذائي لتلك الأعداد المتزايدة من البشر. (المرجع نفسه، ص ٨٠).

١١- قلة مصادر الغذاء بفعل تآكل نحو مليون فدان من الأراضي الزراعية سنويا بفعل الرياح والانجراف بالمياه كما حصل في فيضان باكستان في (أغسطس ٢٠١٠م)، وتشير تقارير الأمم المتحدة ومنظمة الأغذية والزراعة (الفاو) إلى نقص الثروة السمكية في العالم، بسبب الاستهلاك الجائر والسيئ لتلك الثروة.

١٢- أنانية الأقوياء ورفضهم تحمل مسؤولية تدمير البيئة، أو الإحساس بآلام وحاجات الفقراء، حيث يفرضون على فقراء الدول النامية ترك الغابات منتصبة الأشجار والأشجار ترعى فيها عشرات الفيلة ومئات القردة والغوريلات بسلام، وتتجول فيها دبب الباندا بأريحية وتأكل الفواكه على الأشجار، في الوقت الذي لا يجد فيه هؤلاء الفقراء ما يسدون به رمقهم أو مسكنا متواضعا يقيمون فيه، حتى يتمتع الأقوياء ويتنعموا برؤية الفيلة والباندا والغوريلا في رحلاتهم الباذخة لتلك البلاد. (المرجع نفسه، ص ٨٣ و ٨٤).

حقيقة مؤلمة:

نتيجة لذلك كله فقد حصلت الاختلالات البيئية والمناخية وما انجرّ وسينجر عنها من كوارث بيئية ومناخية كـ : (الفيضانات والزلازل والبراكين والجفاف والتصحر وتدهور الغطاء النباتي

وظاهـــرة الإطماء التي تحصل بفعل اســـتئصال الغابات وانجراف التربة وامتلاء الســـدود بالطمي والمفتتات التي تقدر بتريليونات الأمتار المكعبة. (المرجع نفسه، ص ٨٦.. ٩٧).

وفـــوق هذا، فإن تدمير الغابات المداريـــة لن يقتصر تأثيره المناخي الخطر والمدمر على المناطق المدارية، وربما يمتد إلى خارج المدارين، إذ تضم الغابات المدارية في أخشابها وأوراقها ومخلفاتها مخزونا ضخمـــا من الكربون، ويـــزداد الكربون عندما نســـتهلك مصادر الوقود الحفري أو عندما تدمر الغابات بحرقها والذي بدوره يتسبب في انتشار غاز ثاني أوكســـيد الكربون، متسببا في زيادة غازات الاحتباس الحراري.. متســـببة في ازديـــاد عدد مرضى ضغط الدم وأصحاب الأزمات القلبية الأكثر تســـببا في ارتفاع عدد الوفيات، فضلا عما تؤمنه الغابات من أعشاب ونباتات أساسية لصناعة الأدوية والمستحضرات الطبية.. (المرجع نفسه، ص ١٠٢ـ ١٠٤).

وليس هذا فحســـب، بل يؤدي ذلـــك الاختلال في «انقراض بعض الأنواع، وظهور أنواع ضارة من النباتات نتيجة التغيرات البيئية.. الأمر الذي أدى إلى اختفاء ٨٣ في المائة من الثدييات التي انقرضت، و ٨٥ بالمائة من الطيور التي انقرضت.. ولن يغني الطبيعة إنشاء المحميات الطبيعية» (المرجع نفسه، ص ١١٣ـ ١١٧).

وقد نبه الباحث إلى أهمية العبث والتلاعب بالبيئة وإفسادها وآثـــار ذلك على ما حدث من فوضـــى واضطراب بيئي ومناخي، وبـــروز ظاهرة (النينيـــو) حيث التقلبـــات الطبيعية والمناخية التي تحدث كل سنوات عدة في المحيط الهادي، وانفصال وذوبان الكتل الجليدية الضخمة في شـــمال وجنـــوب المحيط ما أدى إلى حدوث موجات حر متطرفـــة وفيضانات مدمرة منذ بداية الألفيـــة الثالثة، فقـــد أغرق الإعصار الحلزونـــي في بنغلاديش شـــهر مايو ١٩٩٤م مساحات واســـعة من السهل الساحلي وقدر عدد القتلى يومها بـ(١٤٠٠٠٠) شـــخص وتدمير أكثر من مليون منزل، كما حصدت الفيضانات أكثر من ٧٠ ألف إنسان في أوروبا ســـنة ٢٠٠٣م، ودمرت الأعاصير مدينـــة نيوأورليونز ســـنة ٢٠٠٥م، وأحرقت النيران أستراليا واليونان سنة ٢٠٠٧م، وتسونامي جنوب شرق آســـيا سنة ٢٠٠٧م، وفيضانات الصين وباكستان والهند المدمرة سنة ٢٠١٠م، ورصدت مراكز الأرصاد الجوية ارتفاع درجة حرارة الكوكب رقما قياسيا منذ مائتي عام، وســـبب ذلك تراكم كميات هائلة من غازات الاحتباس الحراري ولاسيما ثاني أوكسيد الكربون في الغلاف الجوي المحيط بالأرض لـــم تعرفها الأرض خلال مليون عام. (المرجع نفســـه، ص ١٢٦و ١٢٧ و ١٥٩ و ١٦٠و ١٦٨).

وقـــد نبه الباحـــث أيضا إلى خطـــورة تدهور البيئـــة الحضارية بســـبب تلوث الماء والهواء والتربة والغذاء، وبســـبب تزايد كمية النفايات الصلبة والســـائلة وصعوبة التخلص منها، ولاسيما السامة منها كنفايات المصانع والمستشـــفيات، وتراجع البنية التحتية لقنوات الصرف الصحي، وتلويث مياه البحار والمحيطات أيضا بســـبب تصريف النفايات فيها، وضعـــف عمليات التدوير و(الرســـكلة) والاســـترجاع واقتصارها على بعـــض المواد فقط كالزجـــاج والورق والكرتـــون، وحرق ودفن الكميـــات الهائلة في مراكز الردم، وأثر ذلك كله على صحة البشـــرية التي باتت تعرف عودة الأمراض الوبائية القديمـــة كالكوليرا والملاريا وحمى الوادي المتصدع والجدري وضغط الدم.. وتفشـــي مرض السرطان (المرجع نفسه، ص ١٣٢ـ ١٣٦و ١٥٩ـ ١٦٨).

وأمـــام هذا الوضع البيئي الكارثي ، فقـــد ربط الباحث بين ازدياد الكوارث البيئية في العالم بالزيادة السكانية المفرطة وبظاهرة الاحتباس الحـــراري والتصحر والتغيـــرات المناخية، حيث يتحمل البشـــر مسؤولية تدمير كوكبهم، (المرجع نفسه، ص ١٨١،١٧١و ٢٠٢).

الحلول:

يذهب الباحث إلى تذكير الدول والحكومات والشـــعوب بأهمية الالتزام بمقررات ومراســـيم وبروتوكولات الاتفاقات الدولية التي عقـــدت على مدار ثلاثة عقود خلت، حيث أقرت قمة مؤتمر الأرض في (ريو دي جانيرو) ســـنة ١٩٩٢م على وضع خطة إستراتيجية عالميـــة للمحافظة علـــى التنوع البيولوجـــي، وذلك بتخفيض الطلب على الموارد البيولوجية، والمســـاعدة في بناء سياســـات واستراتيجيات عالمية لحماية التنوع البيولوجي، وتهيئة الظروف المساعدة على صون وحماية التنوع البيولوجي، وتشجيع إقامة وتوســـيع وتطوير المحميات الطبيعية بربط مشاريع التنمية بها، وتعليم وتثقيف ســـكان المعمورة بالثقافـــة البيئية المطلوبة، (المرجع نفسه، ص ١٢٣ و ١٢٤).

وأقـــرت في غيرها مـــن المؤتمرات (بكين، القاهرة، دربن، ســـياتل، باريـــس) جملة من الإجـــراءات يجب احترامهـــا، كالتقليل من الانبعاث الغازي، والعقلانية في اســـتغلال الموارد والثروات المائية والغابية والوقود، والحد من اســـتخدام الطاقة النووية، وإنشاء بنى تحتية صحيـــة، ومصانع تدوير واســـتعادة النفايات وتحلية المياه، والتقليل من اســـتخدام الأسمدة والكيمياويات الزراعية، والتعامل مع الطاقات البديلة، واعتماد إســـتراتيجية التنمية المســـتدامة، وضبط النمو الســـكاني، ورفع تســـعيرة وضريبة خدمات الماء والوقـــود والكهرباء، وغيرها من الإجـــراءات المادية والقانونيـــة والردعيـــة الأخرى، التي يحلو للقـــوي فرضها على الضعفاء.

غير أن الحل - في اعتقادي- يكمن في مدى معرفة الإنســـان لربه ولرسالته ولنعمه ولخيراته ولواجباته نحوها وحقوقه الشرعية منها التي بينتها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

صور من عناية الإسلام بـ «الصحة النفسية»

بقلم: حذيفة الخراط ـ المدينة المنورة

عُنِيَ الإسلامُ بحِفْظ صحّة جسم الإنسان، ووقايته مِن الورود في التهلكة، ولم يَغْفل عن العناية بصحّة نَفْسه التي يحملها بين جنباته، بل أفرد تلك النفس بعناية خاصة، دَلَّ عليها ما جاء مِن نصوص القرآن والسنّة، التي حرصَتْ على بناءِ شخصية المسلم المتوازنة، الخالية من الاضطرابات النفْسية، وإعانةِ صاحبها على حُسْن التعايش في المجتمع، والتفاعل المثمر البنّاء مع الآخرين.

وثمة الكثير مِن الصُوَر التي تُظهر عظمةَ الإسلام، وبراعتَه في معالجة قضايا النَّفس، ومداواة ما يَعتريها مِن خطوب، ووقايتها ممّا يُصيبها مِن خَلَل وعِلَل، تقضّ مضجعَ صاحبها، وتهدّد صَفْوَ حياته. وبهذا الطّرْح يَدعم الإسلامُ ما يبذله عِلْمُ الطب من جهودٍ، وما يَصِفُه من أدويةٍ في معالجة الأدواء النفسية، ويُقَدّم لخدمة هذا الغرض جملةً من العناصر التي تؤازر ذلك، ومنها:

أ- كَفل الإسلامُ لمن استقام، والتزم تعاليمَ الدين، وعمل صالحاً من أبنائه العيشَ الآمن المطمئن، بعيداً عن صراعات الأمراض النّفْسية، الأمر الذي يُضْفي على المسلم سَكِينةً تستريح معها النفْسُ المضطربة، ويسكن الفؤادُ الهلوع، وتَمُدّ صاحبَها بطاقةٍ روحية، تُنير قلبَه، وتَشْرح صدرَه. يقول تعالى: (فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (الآية ٣٨ من سورة البقرة).

ويقول ابنُ القيّم رحمه الله في كتابه «الطب النبوي»: «مِن الأدوية التي تَشفي مِن الأمراض ما لم يَهْتَدِ إليها عقولُ أكابر الأطباء، ولم تَصِلْ إليها علومُهم وتجاربهم وأقيستهم». وعَدّ رحمه الله من تلك الأدوية: «التوكل على الله، والالتجاء

إليه، والانطراح والانكسار بين يديه، والتذلل له، والصّدَقة، والصلاة، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، والإحسان إلى الخلق، وإغاثة الملهوف، والتفريج عن المكروب». ويقول أيضاً: «وقد جرّبنا نحن وغيرنا مِن هذا أموراً كثيرة، ورأيناها تَفْعل ما لا تَفْعله الأدوية الحسّية، وهذا جارٍ على قانون الحِكمة الإلهية ليس خارجاً عنها، فإنّ القلبَ متى اتصل بربّ العالمين، وخالِق الداء والدواء، ومُدَبّر الطبيعة ومُصَرّفها على ما يشاء، كانت له أدوية أخرى غير الأدوية التي يعانيها القلب البعيد منه، المعْرض عنه».

ولتلاوة القرآن أيضاً وسماعه أثَرٌ معلوم، ووقْع ثابت في تهدئة النفوس. كيف لا ؟ وهو كلام ربّ العالمين الذي جاء رحمةً لهم، وشفاءً لما في صدورهم. يقول تعالى: (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)(الآية ٨٢ من سورة الإسراء). وفي الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عليكم بالشفاءَين: العسل والقرآن» (رواه الحاكم وابن ماجه).

ونلاحظ ورود كلمة «شفاء» في هذه الآية الكريمة، وهذا الحديث الشريف، وهي لفظة مختارة بدقّة وعناية، وقَرَنَت القرآنَ بالشفاء، فهو إذن وسيلةُ مداواةٍ مضمونة النتائج - بإذن الله- ، وهو بذلك يُخالف الأدويةَ البشرية التي قد تكون سبباً للشفاء، أو لا تكون. ومعلومٌ كم يُعاني المريضُ مع تلك الأدوية حتى يَظهر أثَرُها المنشود في الجسم، خلافاً لآيات القرآن الكريم التي هي ثمرة الدواء، وهدفه المأمول.

ويقول ابن القيّم رحمه الله في كتابه «زاد المعاد»: «القرآن هو الشفاء التام مِن جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وإذا أحسن العليلُ التداويَ به، ووضَعَه على دائه بصِدق وإيمان، وقبولٍ تام، واعتقادٍ جازم، لم يُقاومه الداءُ أبداً. وكيف تُقاوِم الأدواءُ كلامَ ربّ الأرض والسماء ؟ فما مِن مَرَض من أمراض القلوب والأبدان، إلا وفي القرآن سبيلُ الدلالة على دوائه، وسَبَبه، والحِمْية منه، لمن رَزَقه الله فهْماً في كتابه».

ويكتشف العِلمُ الحديث يوماً بعد يوم ما في كلام الله هذا مِن أسرارٍ علاجية، وخواصّ وقائية. فقد ثَبَتَ أنّ لصوت القرآن أمواجاً صوتية ذات تَردُّد محدَّد وفريد، وتنتشر لتُولّد حقولاً اهتزازية، تؤثّر في خلايا الدماغ، وتعيد التوازنَ إليها، ممّا يُقَلّل مِن الانفعالات والغضب والتوتر العصبيّ، ويمنح الجسمَ هدوءاً واستقراراً منقطع النظير.

كما ثَبَتَ أنّ قراءة القرآن وَفْقَ قواعد الترتيل والتجويد، يؤدّي إلى تنظيم تَنَفُّس قارئه، عبر تعاقب عمليتَي الشهيق والزفير، وهذا سببٌ رئيسٌ لتخفيف حدّة التوتر والقلق. ولوحظ في دراسةٍ أمريكية أخرى أجريَتْ على متطوّعين غير ناطقين بالعربية، وطُلِب منهم تلاوة شيء من القرآن الكريم، فلوحظ قلّة التوتر العصبيّ لديهم، ومَيلهم نحو الهدوء والسكينة.

وقد حَثَّ الإسلامُ كذلك على الإكثار من الاستغفار، ووَعَد أنّ «مَن أكثر الاستغفارَ جَعلَ الله له مِن كلّ هَمّ فرجاً، ومِن كلّ ضيق مَخرجاً» (رواه الحاكم).

ب- وكان الشقاءُ مصيرَ مَن قَطَع حبلَ الصلة بالله. وعُدَّ الضلالُ، والبعد عن تعاليم الدين، وضعْف الإيمان، أسباباً رئيسة للإصابة بالأمراض النفْسية. يقول تعالى: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً) (الآية ١٢٤ من سورة طه).

ويدلّ على ذلك في واقعنا المعاصر حال الغرب الذي شَعَر أبناؤه بالفراغ الروحيّ والخَواء، فانتشرَتْ بين صفوفهم ظاهرةُ الانتحار (من بين كل ١٠٠ ألف شخص ينتحر (٢٠) في السويد والنرويج، و (١٩) في أمريكا، و(١٨) في فرنسا).

وامتلأتْ مصحّاتهم بالمرضى النّفْسيين، ولجؤوا إلى الأدوية المهدّئة، والمشروبات الكحولية والمخدّرات، هروباً مِن واقعهم، ودَفْعاً لما نَزَل بهم. ولم تنفع القومَ علومُهم، وما وصلوا إليه بزَعْمهم مِن مظاهر الحضارة، وبريق المدنية الحديثة.

وهناك أكثر من ٥٥ مليون وصفة من الأدوية المهدئة يتمّ كتابتها سنوياً، وهذا جعلها أكثر الأدوية مبيعاً في الدول الغربية. ووَفْقاً للدراسات فقد تعاطى المهدئات النفسية في بريطانيا ١٠ ٪ من الذكور و ٢٠ ٪ من الإناث في سنة ١٩٧٧ م وحدها، ولا شكّ أنّ هذه النسبة قد ارتفعَتْ في أيامنا هذه.

يقول الدكتور كارل يونغ Carl Jung: «إنّ كلّ المرضى الذين استشاروني خلال السنوات الثلاثين الماضية مِن جميع أنحاء العالم، كان سببُ مرضهم هو نَقْص إيمانهم، وتزعزع عقائدهم، ولم ينالوا الشفاءَ إلا بعد أن استعادوا إيمانَهم».

ج- وأمَرَتْ نصوصُ الكتاب والسنّة بالاستسلام التامّ لله، وتسليم الأمْر كلّه إليه، وعَلَّمَنا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الالتجاءَ إلى الله وحْده، لرَفْع ما ينزل بنا من همّ وحزن وكرْب. وقد وَرَدَ في ذلك أدعية كثيرة، منها دعاء: «اللهم إنّي أعوذ بك من الهمّ والحزن»(رواه البخاري)، ودعاء: «اللهم إنّي عبدك، ابن عبدك، ابن أمَتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيّ حكمك، عَدْل فيّ قضاؤك، أسألك أن تجعل القرآنَ ربيعَ قلبي، ونورَ صدري، وجلاءَ حزني، وذهابَ همّي»(رواه الحاكم).

والمؤمن يَرضى بما قَسَمه الله له، ويَصبر على ما أصابه ابتغاءَ الأجر،وهو بذلك يستشعر أحاديث السنَّة، ففي الحديث: «إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه فصبر عوّضته منهما الجنة» (رواه البخاري).

وهذا المؤمن أيضاً يُؤمن بالقضاء والقَدَر، ويَضع نُصْبَ عَينه ما جاء مِن أحاديث تأمر بذلك، كحديث أركان الإيمان: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكُتبه، ورُسُله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقَدَر خَيره وشرّه»(رواه مسلم).

والمؤمن أيضاً حَسَنُ الظنّ بالله، ويتوكّل عليه، فيكفيه تعالى بذلك ما أهمّه. يقول عزّ وجلّ: (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) (الآية ٣ من سورة الطلاق)، وهو يَعْلم يقيناً أنّ الأمّة لو اجتمعَتْ على أن يَضرّوه بشيء، لم يَضرّوه إلا بشيءٍ قد كَتَبه الله عليه(حديث رواه الترمذي).

د- ونظّمَ الإسلامُ العلاقات بين أفراده، وَفْق منظومةٍ خَيّمَ عليها التعاونُ الاجتماعيّ، وأدّى فيها الجميعُ واجباتهم، ونالوا فيها حقوقَهم. وحُثَّ المسلمُ على ضَبْط ما يعتريه مِن انفعالاتٍ تَعْرض له في يومه، وهَدَف الإسلامُ بذلك إلى ترويض النّفْس البشرية، وتربية صاحبها على التحكّم بتصرّفاته وأفعاله وأقواله، ولا شكّ أنّ هذه وسيلةٌ وقائيةٌ مِن الوقوع في شَرَك الكثير مِن الأمراض النفْسية.

ومَنع الإسلامُ إبداءَ المشاعر السلبية نحو الآخرين، يقول تعالى: (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) (الآية ٣٤ من سورة فصلت)، وفي الحديث أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تقاطعوا، وكونوا عبادَ الله إخواناً» (رواه مسلم).

كما حَذّر الإسلامُ مِن الغضب، وكَثُر ما جاء في ذِكْره مِن نصوص. يقول تعالى ممتدحاً عبادَه: (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) (الآية ١٣٤ من سورة آل عمران)، ويقول جلّ من قائل: (وإذا ما غضبوا هم يغفرون) (الآية ٣٧ من سورة الشورى)، وفي السنّة أنّ رجلاً قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم: أوصِني، قال: لا تَغضب، فردّد مراراً قال: لا تَغضب (رواه البخاري)، وفي الحديث الآخر: «مَن كَظَمَ غيظاً وهو قادرٌ على أن يُنْفِذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة، حتى يخيّره الله مِن الحور العين ما يشاء»(رواه ابن ماجه والترمذي)، وفي الحديث أيضاً: « ألا وإنّ الغضب جمرة في قلب ابن آدم»(رواه الحاكم والترمذي).

وتُشير مراجعُ الفسيولوجيا إلى بعض آثار الغضب والانفعال في جسم الإنسان، وما تُخَلّفه مِن مضاعفاتٍ صحّية، إذ يؤدّي ذلك إلى زيادة إفراز هرمونات الغدة الكظرية Adrenal، ممّا يَنتج عنه مجموعةٌ مِن الأعراض والأمراض، كزيادة معدّل ضَربات القلب، وارتفاع ضغْط الدم، والصداع، والربو، وزيادة سكّر الدم، وداء الصدفية الجلدي Psoriasis، والإكزيما، وتثبيط حركة الأمعاء، والإصابة بعُسْر الهضم، والإمساك المزمن.

وللغضب أيضاً أثَرٌ في زيادة حمض المعدة، والإصابة بقرحتها، ورفْع نسبة دهون الدم، والتعرُّض للإصابة بتَصلُّب الشرايين. وثمة دراساتٌ تَعتقد وجودَ علاقة بين ما تُحْدِثه مشاعر الغضب من تثبيط قدرات الجهاز المناعيّ، وظهور داء السرطان في الجسم.

وقد أرشَدَنا الهدْيُ النبويّ في أحاديث عديدة إلى طُرُق تهدئة النّفْس الغاضبة، ولا شكّ أنّ في هذا وقايةً لصاحبها مِن أضرار الغضب. ومِن ذلك: الاستعاذة بالله، ففي الحديث أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّي أعْلم كلمةً لو قالها لذَهَب عنه الغضب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»(رواه مسلم)، ونراه في حديثٍ آخر يأمر الغاضبَ بالسكوت، وعدم الاسترسال بالحديث الذي يزيد الغضَب أواراً، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «وإنْ غَضِبْتَ فاسكُت» (رواه أحمد والطبراني).

ويأمر عليه الصلاة والسلام الغاضبَ بتغيير وَضْع جسمه، ففي الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا غَضِبَ أحَدُكم وهو قائم فليَجْلس، فإنْ ذَهَبَ عنه الغضبُ وإلا فليضّطجع» (رواه أبو داود).

وقد أوضح العِلْمُ إعجازَ ما وَرَدَ في هذا الحديث مِن وصايا، وجدواها في تخفيف حِدّة الغضب، ووقايةِ الجسم مِن أذاه العضويّ والنّفْسي، فقد ثَبَتَ عِلْمياً أنّ ما يُفْرَز مِن هرمونات الغضب، يزداد في جسم الغاضب الواقف، وفي أثناء حَرَكته، وأنّ تغييرَ وَضْع الجسم بالجلوس أو الاستلقاء -كما أمَرَ الحديث- يَخفض نسبةَ تلك الهرمونات في الجسم، ممّا يُقَلّل مِن تأثيراتها، ويُضْعف انفعالَ الغاضب، ويُخمد ثورته.

أفياءُ الدعوة

أ.د. فؤاد البنا

طُولُ الألْسنة وقُصر الأيدي:

من أعراض وباء التخلف الذي استوطن أمتنا (طول الألسنة) مقابل (قُصر الأيدي)، مما أدى إلى (وَفْر) في الأقوال و(فَقْر) في الأفعال؛ ولذلك لم تُؤتِ كثير من جهود الدعوة أُكُلَها المنشودة!

نور الحق وظلام الباطل:

الحق يلوح نورُه وتُشعّ شمسُه كضوء النهار، أما الباطل فتتلاطم ظلماتُه وتتكاثف دياجيره كأنه الليل الحالك!

رشْدُ المرشد:

من الضروري جداً للداعية أن يكون ذا فكر مستبصر، فلا يمكن أن يكون (مرشداً) من لم يكن (راشداً)؛ إذ إن فاقد الشيء لا يعطيه!

بلاغة الأفعال:

عندما تنفصم أفعال الداعية عن أقواله، فإن المدعوّين ينجذبون إلى الأفعال؛ لأنها أبلغ في التأثير من الأقوال، سواء كانت حسنة أو سيئة!

طبيب الدعوة:

الداعية إلى الله طبيب نطاسي، يداوي أدواء الناس ومعضلاتهم، حيث يختزن في صيدليته أدوية النفوس وأكاسير القلوب، ويستخدم في دعوته بلاسم الأرواح وتَرايِيق العقول.

إن الداعية النطاسي يقوم بتكوين معادلات الصلاح الروحي والمادي، ومركبات الجمال الخَلقي والخُلقي، وذلك من المادة الأولية المتوفرة في الكتاب والسنة، وفق مقتضيات الحال وحاجات الواقع.

حقيقة الدعوة:

ليست الدعوة إلى الله مجرد كلمة تقال أو موعظة تطلق أو نصيحة تطرح!

إنها جهد دائب وجهاد دائم، يتم من خلاله تحقيق حوائج الناس ودفع الجوائح عن حياتهم.

إنها إثبات عملي لصلاحية الإسلام في الحال والمآل، بلساني الحال والقال، ومن أحق بإثبات هذه الصلاحية من الدعاة أنفسهم ؟!

الموعظة والجدال:

لا بد أن تكون الموعظة (حسنة)، أما الجدال فينبغي أن يكون بالتي هي (أحسن)؛ ذلك أن الموعظة تناجي القلب والجدال يحاور العقل، ثم إن القلب قد يتأثر بسرعة ولاسيما أن المخاطبين بالموعظة أغلبهم من العامة، أما العقل فيحتاج إلى محاججة وبرهنة وتدليل، ولاسيما أن الجدال يستهدف أصحاب المعرفة، ويستطيعون الرد إن كان هناك ضعف أو ركاكة، بعكس الموعظة التي تكون من طرف واحد.

وتستهدف الموعظة في الأساس مؤمنين مسلمين بينما يستهدف الجدال منكرين متشككين!

رجُلُ التخطيط:

رجل الدعوة الأصيل هو رجل تخطيط، حيث يتحرك بخطوات وئيدة ومناشط وطيدة، لا يعرف في ارتحاله الارتجال، ولا تدرك خطواته التخبط، ولا ينساق وراء الشائعات، ولا ينساب خلف ردود الأفعال.

إنه يعرف كيف ومتى وأين يواجه خصومه، ولا يَنجرّ وراء مخططاتهم الخفية، ولا يَجترّ أفاعيله السابقة، ولا يستطيع أحد جرّه إلى المربّع الذي لا يريده هو.

ليمونة:

لا تزال (أمواج الدعوة) إلى الله تتكسّر على (أحجار القدوة السيئة)!